إدكو

ماضيها . حاضرها . مستقبلها

محمد محمود زيتون

ولنا فى الماضى عبرة
وفى الحاضر أهبة
وفى المستقبل طموح
(زيتون)

ص
ه



ماضيها . حاضرها . مستقبلها

تأليف

محمد محمود زيتون

١٣٥٥ — ١٩٣٦

مطبعة النهضة بشارع الحضرى باسكندرية

المقدمة



كتابي هذا جمع بين دفتيه حياة حافلة بالاطمئنان والسلام والرضى والقناعة ، والدأب والنشاط ، والفطرة السليمة ، والطبيعة المجلوة مما امتازت به إدكو . . .

إدكو مسقط رأسي ، وموطن آبائي ، ومسرح طفولتي ومراح شبيبتي ، ومراد شاعريتي ، وميدان جهادي ، ومطلع طماحي . . . وإليها المآب .

هذا (إدكو) ملتقى ذكرى الأمس ، وسعي الغد في عمل اليوم.

فيه كشفت عن حياة السلف ، وعرضت مناحي الجيل ومن هذين أستشف ماسيكون عليه الخلف لا رجماً بالغيب وإنما من باب استنباط ما تؤول إليه قطرات المطر حيث تحيا بها الأرض بعد موتها ، فتأخذ زخرفها وزينتها وتؤتي أكلها كل حين باذن الله.

بالخير إذن - ياشباب إدكو - آمنت قلوبنا ، الخير الذى نحن العاملون على أن يتمتع به أحفادنا ، حرصاً منا على تلقينهم الدرس

تلقيناً أميناً ، ومن ثم يخرجون إلى الحياة موقنين باعتمادهم على الأسس التي مهدنا لهم سبل الوصول إليها ، وأعددنا لهم عناصر البناء ، فلا ينتظرون منا ، ونحن على شفا عهد يوشك أن ينهار إلا قولتنا :

تلك آثارنـــا تدل علينا ۝ فانظروا بعدنا الى الآثار

ولنا فوق ذلك فى الماضى عبرة ، وفى الحـــاضر أهبـــة ، وفى المستقبل طموح .

وبعد : فاليكم يا بني النيل ! مدنه وقراه . . . . . .

إليكم بيئة سترون ، حين تمضون فى تتبع فصول الـكتـاب ، أنها بالـكشف حَرِيَّة تبصرةً ، وتذكرة ، وحفزاً . .

وإذا كان لى أن أفخر ، فانما بابراز الحقيقة مجلوة أن جلوت (إدكو) جلاء مبيناً لا مين فيه ولا تزويق .

يابني النيل :— هاؤم اقرأوا كتابيه . . تروا بيئة بميزاتها انفردت وبخصائصها امتازت . .

وهيا ياشباب اكشفوا عن شتى بيئاتـكم ، فبذلكم تختزلون المشقات أمام كل مستطلع ! وعهدون السبيل لـكل منصف ولـكم من وراء ذلك خير مايسطره الجيل المقبل بقـلم الفخـر على صفحة الذكرى لسلفه الشباب .

وإلى إدكو أتقدم بـ (إدكو) . . والفضل يومئذ من إدكو . . وإلى إدكو .

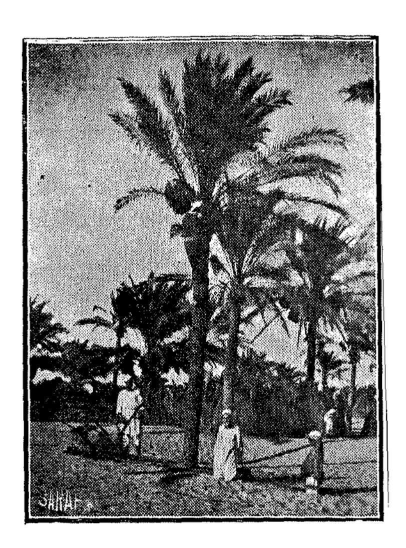
ابن إدكو

محمد محمود زيتون



محمد محمود زيتون

تمثال نهضة ادكو



أيها الصاعد في درجات النخلة إلى العلا . . . الآن تجنى ثمرة جهودك بلحاً شهياً ، ورطباً جنياً . . . ألا بوركت من شهم نشيط سعيت ومضيت ، وأخيراً جنيت . . . فنعم الجزاء . . .

أطعمت بنيك حلاوة جدك ، فآمنوا بثمرة الجهاد ، لخير الاحفاد ونفع البلاد . . .

فانهضوا يا بنيه . . .

الإهداء

إلى سمو الأمير العالم

عمر طوسون

أرفع (إدكو)

هدية متواضعة

ورمز الولاء

لسموه المحبوب

نيقولا

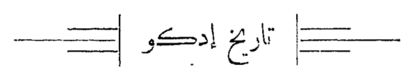
﴿ المراجـــع التاريخيـــة ﴾

١ ـ فتوح مصر : ابن عبد الحكم المتوفي سنة ٨٧١م
٢ ـ فتوح البلدان : البلاذرى المتوفي سنة ٨٩١م
٣ ـ أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم : المقدسى المتوفي سنة ٩٩٠م
٤ ـ نزهة المشتاق في اختراق الافاق : الادريسي المتوفي سنة ١١٥٣م
٥ ـ فتوح الشام : الواقدى المتوفى في العصر العباسى
٦ ـ أخبار من نواحي مصر : ابو صالح الارمنى المتوفى سنة ١١٥٥م
٧ ـ رحلة ابن جبير : ابن جبير المتوفى سنة ١٢٠٤م
٨ ـ معجم البلدان : ياقوت الحموى المتوفي سنة ١٢٢٤م
٩ ـ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر : شمس الدين الدمشقى المتوفي سنة ١٣٢٧م
١٠ ـ مسالك الابصار في ممالك الامصار : ابن فضل الله العمرى المتوفي سنة ١٣٣٠م
١١ ـ تقويم البلدان : ابو الفداء المتوفى سنة ١٣٣٢م
١٢ ـ تحفة النظار فى غرائب الامصار : ابن بطوطه المتوفي سنة ١٣٧٨م
١٣ ـ الانتصار لواسطة عقد الامصار : ابن دقماق المتوفى سنة ١٣٨٨م
١٤ ـ التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية : ابن الجيعان المتوفى سنة ١٣٩٨م
١٥ ـ صبح الأعشى : القلقشندى المتوفى سنة ١٤١٨م

١٦ ـ الخطط المقريزية : المقريزى المتوفي سنة ١٤٤١م
١٧ ـ تاج العروس : الزبيدى المتوفى سنة ١٧٩١م
١٨ ـ لواقح الانوار في طبقات الاخيار : الشعرانى المتوفي سنة
١٩ ـ عجائب الآثار فى التراجم والاخبار : الجبرتي المتوفي سنة ١٨٢٥م
٢٠ ـ دائرة المعارف : البستانى المتوفى سنة ١٨٧٠م
٢١ ـ دليل مصر سنة ١٨٩١ : يوسف آصاف
٢٢ ـ الخطط التوفيقية : علي مبارك المتوفى سنة ١٨٩٣م
٢٣ ـ الدليل العصرى للقطر المصرى سنة ١٩٠١ : صالح بك جودت
٢٤ ـ مصر والجغرافيا : تعريب أحمد زكي باشا المتوفي سنة ١٩٣٤ م
٢٥ ـ سياحة فى القطر المصرى : عوض واصف
٢٦ ـ Memoires de l'instifut d'Egypte للأمير عمر طوسون
٢٧ ـ Mémoire sur l'histcire du Nil » » »
٢٨ ـ ماليـــة مصر » » »
٢٩ ـ الخرائط الجغرافية :

ا ـ خريطة مصلحة المساحة عن (إدكو) $\frac{٥٩}{٥٤٠}$ سنة ١٩٣١
ب ـ خريطة مصر السفلى فى القرن الرابع عشر (بالفرنسية)
جـ ـ » مجارى المياه فى مصر زمن العرب »
د ـ » فروع الدلتا القديمة لابن سرابيون »

القسم الأول



تاريخ إدكو

يكاد البحث عن تاريخ بلد من البلدان يكون من أشق مايعانيه المؤرخ لما يكلفه ذلك من طول أناة ، ومقدرة فائقة على ربط المنقول بالموجود ، واستعداد تام للاقناع إذا قام في سبيله اعتراض . ولا أظن كتاباً أو كتباً تنقع غلة المؤرخ وتروى صداه ، وهو جادٌ في الأمر باحثاً عن ضالته ، وإلا ضاعت كفايته .

ومن المحقق أن أمهات الكتب لا تحفل إلا بالعموميات وبذلك قد تخلف وراءها أمماً وشعوباً لايصيبهم مما يستحقونه من الذكر شيء .

وقد تتضارب آراء المراجع مما يحير الباحث ، فسرعان ماتبدو لباقته في التوفيق بينها معتمداً على حصافة عقله ، وما أوتي من عبقرية . وهو في هذه الحالة يكون كمن يستعرض الدراهم فيستأثر بالأصيل ، ويتفحص الزائف ، وفى كلا الأمرين أثره محمود .

وإني حين أنقب فى مطاوى الكتب ودفائنها لا أدعى لنفسى فضلا ، فما هو إلا أن جمعت أمامى هذه الكتب واستخلصت منها ما له بالموضوع مساس ، ثم عقبت عليه بما يزيل الغموض ويكشف الغُمَّة .

وإذ أتلمس الماضى أوقن لنفسي بالسلامة ، مادمت أتحرى الأمانة والايضاح ، وهكذا لم أجعل من نفسي مطعناً لطاعن ، ولا جنباً لغامز .

أَتْكُو

(بفتح الهمزة وسكون التاء وضم الكاف وواو)

هكذا حققها ياقوت[1] وتبعه الدمشقي[2] وابن الجيعان[3] والمقريزى[4] والبستاني[5] وعلي مبارك[6] .

وظلت هكذا تنطق وتكتب حتى صارت :

إِدْكُو

(بكسر الهمزة وسكون الدال وضم الكاف وواو)

ذكرها الزبيدي في قاموسه[7] فقال : إدكو « بكسر الهمزة وسكون الدال وضم الكاف » ويقال أتكو « بفتح الهمزة وسكون التاء بدل الدال وكسر الهمزة » هو المشهور .

إلى حدٍّ ما نستطيع أن نقول إن الزبيدي جارى سابقيه في تحقيق الاسم كما سبق . ثم كان علي باشا مبارك[8] فكتب عنها فصلا ضافياً تحت (إدكو) .

وبقيت تنطق وتكتب (إدكو) إلى يومنا هذا ، وستظل كذلك إلى ماشاء الله .

ومن هذا نرى أثر التحريف في تغيير الاسم ، فلما كانت (أَتْكُو) ثقيلة على اللسان كسرت الهمزة فصارت (إِتكُو) فخففت نوعاً ما .

١) معجم البلدان ١ : ١١٢ ٢) نخبة الدهر ١٢١ ٣) التحفة السنية ١١٨
٤) المقريزي ١ : ٢٧٣ ٥) دائرة المعارف ٢ : ٤٦٤ ٦) الخطط التوفيقية ١ : ٦٧ ٧) تاج العروس ٧ : ٩٩ ٨) الخطط التوفيقية ٨ : ٥٠

إلا أن الانتقال من الهمزة إلى التاء عسير فبدلت التاء دالا حيث هي أقرب الي التاء ، وأسهل انتقالا من الهمزة فكانت : (إدكو) .

ويتضح أثر هذا التحريف على وجه الخصوص فى المراجع الفرنسية فقد كتبت هكـــذا : Etkou ثم Edkou[1] .

هنا يقف القارىء هنيهة مردداً في دهشة : إدكو . . . إدكو . . . ! ما معنى إدكو . . ؟! أليست إدكو هذه (ثالثة ثلاث) ،(إدفو) في مصر العليا ، و(إدقه) فى مصر الوسطى ، و(إدكو) فى مصر السفلى . . . عجيب هذا !

﴿ سبب تسميتهـــــا ﴾

ولو أننـا جارينا بعضهم فيما يذهبون اليه من أن الأمير المسلم الذى فتحت على يديه إدكو ، حينما ترامى اليه أن أهل مدينة إدكو ارتدوا بعد اسلامهم ، قال لرجاله : (أتكوا فيها) أى (اضغطوا عليها) كما يفهم من السياق ، الا أننا لم نعثر على مادة (تـكايتكو) فى قاموس عربي ، وان كانت العامة تقولها محرفة بالمعني المتقدم .

واذا كانت قد سميت بهذا الاسم زمن الفتح ، فماذا كان اسمها قبل الاسلام ؟ أكانت مهملا لااسم لها ، . . . كلا فان هــذا لا يتفق واجماع المؤرخين وقديم آثارها على ما كان لها من مدنية .

والحقيقة أن (إدكو) محرفـــة عن (إتكو) وهي مشتقة من الكلمة القبطية القديمة (تِكوبي Tkwop) وهذه مشتقة أيضاً من الكلمة

---

1) Mémoires de l'institut d'Egypte : 275,355

المصرية القديمة (جوكات) وتكتب هكذا :—

ومعناها (التل المرتفع)

وعلى هذا فان معنى مدينة (إتكو) المدينة المقامة على التل المرتفع ونرجح أن يكون هذا التل هو كوم الطواحين وهو لاشك أعلى تل وأقدمه في إدكو .

﴿ أهي قرية أم مدينة . . . ؟ ﴾

لما كان (فتوح مصر) لابن عبد الحكم المتوفي سنة ٨٧١م. أقدم مراجعنا ، لذلك آثرنا نقل ماروى عنه ثم من تبعه من المؤرخين .

١ ـ قال ابن عبد الحكم عند الكلام على بحيرة الاسكندرية :

. . . في خليج عليه مدينتان : إحداها الجدية والاخرى أتكو . .

٢ ـ وقال أبو صالح الارمنى أثناء الكلام على نواحي الوجه البحرى ومال إقطاعها مانصه « رشيد والجديدة وإدكو ثلاث نواحي ثلاثة آلاف دينار أى ١٨٠٠ جنيهاً مصرياً »[١]

٣ ـ وقال ياقوت « أتكو بليدة قديمة من نواحي مصر قرب رشيد »[٢]

٤ ـ وقال ابن دقماق « إتكو عبرتها عشرة آلاف دينار أى ستة آلاف جنيهاً مصرياً وهي مقطعة للأمراء المقدمي الألوف »[٣]

١) اخبار من نواحى مصر ١١ ٢) معجم البلدان ١ : ١١٢ ٣) الانتصار لواسطة عقد الامصار ١١٣

٥ ـ وقال ابن الجيعان «اتكو عبرتها ١٢ ألف دينار أى ٢٧٠٠ جنيها»[١]

٦ ـ وقال المقريزى « وفي الوجه البحرى مدينة النجوم ، وقد غلب على مدينة النجوم الرمال والسباخ ويعرف اليوم منها قرية إدكو على ساحل البحر بين رشيد والاسكندرية »[٢]

٧ ـ وقال الزبيدى « إدكو بليدة صغيرة بالقرب من رشيد »[٣]

٨ ـ وقال البستانى « اتكو بليدة قديمة من نواحى مصر قرب رشيد »[٤]

٩ ـ وقال على مبارك « إدكو قرية كبيرة . . . »[٥]

١٠ ـ وجاء في : Mémoires de l'institut d'Egypte[٦] تحت اسماء قرى مديرية البحيرة :

Etkou X - Celles - villages - marquées avec un X celles qui n'ont pu l'être.

ومعنى هذا أن العلامة X تدل على القرى التى لايكاد يذكر لها وجود . فاتكو إذن لا وجود لها.

تعليقات :

أرى في هذا الصدد أن يلحق بدرس التاريخ فى المدارس (حساب الرسم البياني) لبيان مصير البلاد من رقي وتدهور . وحقيقة الأمر وواقعه أن لو كان هذا (المصير) خطا بيانيا لكان (مسيره)منكسراً . .

نرى من هذا أن الحياة معناها الصعود والهبوط ، والرقي والانحدار

---

١) التحفه السنيــة ١١٨ ٢) المقريزي ١ : ١٠٦ ٣) تاج العروس ٧ : ٩٩
٤) دائرة المعارف ٢ : ٤٦٤ ٥) التوفيقية ٧ : ٥٠ ٦) Vol. : 8. P. 228.

والعمار والخراب، والتقدم والتأخر، وكلها مرادفات لكلمتى (مدينة) و (قرية).
تنطبق هذه النظرية تمام الانطباق على تاريخ إدكو كما يُرى . . .

فبرغم أسبقية بعض المؤرخين على غيرهم وشهادتهم لادكو بأنها مدينة نرى هؤلاء الغير لا يجدون مناصاً من تقرير الحقيقة المجلوة أمامهم ، فلا يسعهم إلا الرضوخ لما تفرضه ، وإلا أن يُصدِقوا التاريخ أعمالهم ، فالتاريخ من ورائهم محيط . ومثال ذلك : ماقاله ابن عبد الحكم (فى القرن ٩) ، ثم ياقوت (في القرن ١٣) ثم علي مبارك (في القرن ١٩) .

وليتأمل القارىء معى قول المقريزى « . . . وقد غاب على مدينة النجوم الرمال والسباخ ويعرف اليوم منها قريـة إدكو . . . » فانه لا يخفى ما في هذه العبارة من دقةقوامها أن إدكو قرية قديمة كانت داخلة في حدود مدينة قديمة اسمها (النجوم) . واذا كانت هذه المدينة قد اندثرت معالمها ، وشخصت أطلالها ، فلم لاتكون إدكو أهم ما اشتملت عليه المدينـة ؟ لقوله « ويعرف اليوم منهـا . . » اذ من البديهي أن (ما يعرف) أجدر بالذكر والتحقيق (مما لا يعرف) . ولم لا تكون مدينة سارت فى مدنيتها مع (النجوم) جنبا الي جنب ؟ لأنه لما طغت الرمال والسباخ على المدينة صيرتها أطـلالا حتى لم يعرف منها ما يدل على أنها مدينـة .

وهذا هو السبب بعينه الذى حدا بالمؤرخين الذين قرروا بأن إدكو قرية . وليس من ذنب عليهم في هذا ، وانما الذنب كل الذنب

على الطبيعة الساخرة التى سلطت رمالها وسباخها فطمست مدينة واسعة الارجاء بتسخير الرياح واثارة سلاحها .[1]

ومما يثبت قِدم إدكو في المدنية :

أولاً : قول علي مبارك « والى الآن تشاهد آثار المدن القديمة التى كانت هناك وهى التلال التى بداخل بحيرة اتكو وخارجها »[2]

ثانياً : قول المقريزى « قريـة ادكو على ساحل البحر بين الاسكندرية ورشيد »[3] ، وطبيعي أن البلد لايحـد الا بما هو أهم منه . لهذا كانت ادكو أهم البلدان الواقعة بين رشيد والاسكندرية فليس بينهما ما يفوقها أهمية ؟ والا كان الاجدر ذكره فى مقام التحديد .

ثالثاً : جمع سمو الأمير عمر طوسون (رشيد والجديدة وادكو)[4] فى بيـان تحت عنوان (الكورة) ولا شك أن هـذه الكورة كانت (النجوم) التي ظلت حتى قبيل صلاح الدين الأيوبي (١١٧١م)

ونرى من هـذا أنه لولا الرمال التى سيرتها الرياح الهوج الى ادكو لتكشفت ادكو عن حقيقتها التاريخية ، فقد أثبت المقريزى فى خططه « وكلها في الرمل »[5]

فالرمال اذن هى العقبة ، ومتى اقتحمت العقبة بعض الشيء ، اتضح لنـا بعض من كل شيء .

وبالتنقيب فى هذه الرمال والعثور على الآثار التى صادفها الاهلون

---

١) الرمال سلاح الطبيعة فى ميدان التعرية : تعبير جيولوجي أدبى حربى . من عندنا
٢) التوفيقيـه ٣) المقريزي ١ : ٢٠٦ ، ٢٩٧ ٤) ماليـة مصر ٢٢٦
٥) المقريزي ١ : ٢٧٣

والاحجار المنقوشة والمصقولة التي لازالت الى الآن ، والتأمل فى تضاريس ادكو وما جاورها . . بهذا وبغيره مما سنبينه بعد نستدل على قدم ادكو في حضارتها .

فهي اذن (مدينة ادكو) القديمة بعد اذ اقتنعنا بما أوحاه الينا التاريخ وبحوثه .

نعم هى فى (ماضيها) مدينة ، ولكنها في (حاضرها) قرية ، وعما قريب تكون فى (مستقبلها) مدينة . ولكنها فى مستقبلها غيرها فى ماضيها . وشتان بين مدينتين نشأت احداهما عن وراثة والأخرى عن جهود .

واذا كنا - أيها الادكاويين - نطمع في مدينتها الحاضرة فانما يكون ذلك من باب حب الشهرة لدى الطفل فى علم النفس ، وفاتنا أن قلم التاريخ يكتب فى صمت واعيا ما تمليه عليه جهودنا . . . فلندع التاريخ يكتب ما يشاء ، ولننصرف الى أعمالنا نؤديها أحسن أداء ونبذل جهودنا في سبيل تأسيس مدينة (ادكو الجديدة) أو New Edkou .

موقع إدكو

قديماً وحديثاً

من الصعب أن نحدد موقع ادكو قديماً التحديد الذى يجب أن يكون. ولكن مما لاجدال فيه أن بحيرة ادكو أحدث عهداً من (مدينة النجوم) وبالتالي من (مدينة ادكو) . وفيما يلى بحث هذا الموقع قبل البحيرة وبعدها.

فالآثار القديمة والتلال التي في بحيرة ادكو والتي أصبحت الآن جزائر تدلنا على أن ادكو كانت تشتمل على المساحة الواقعة بين البحر الرومي شمالا حتى شطآن بحيرة ادكو الجنوبية ، وبين تلال الجدية شرقاً حتى الفرع الكانوبى القديم الذى كان يصب فى البحر عند كانوب (أبو قير) غرب (الكوم الاحمر) .

ويلاحظ أن أهم جهاتها القديمة تهب بين البحيرة والرمال . والآثار فى كليهما غرقى .

ويقيناً أن الجهة الشرقية من « طابية النوى » التى على شاطىء البحر ممتدة الى الجنوب مارة :(كوم مياح) ثم اختراقها البحيرة حتى (جزيرتى القصور) كلها آثار المدينة . وعلى هذا الخط توجد (الدار الحمراء) فى الرمال شمال كوم مياح ، وقد عثر الأهالى حولها على مدافن قديمة مبنية بالآجر الكبير الحجم المتين الصنع ومحكمة بالرصاص . وعثروا أخيراً على قناة من الآجر آتية من الشمال الى كوم مياح بانحدار ورأوا منها ماء زلالا منحدراً بشدة الى الجنوب ، وتدل آثار هذه القناة على اتصالها بجزيرتى (القصور) مما يدل على أنها كانت تروى مافيها من قصور .

وكذلك الجهة الغربية من البحيرة فان جزائرها العديدة المتقاربة وأسماءها الغريبة التاريخية ، وما عثر عليه فيها من آثار المباني لأسطع دليل على قدم هذه الجهة .

ويلي هاتين الجهتين أهمية خط وهمي مار بجزيرة حسن ممتداً نحـو الغرب وموازيا لشاطىء البحر الابيض المتوسط ، فان هذا الخط ينتظم عـدة جزائر أثرية كما ينتظم الخيط حبات العقد . وان مجرد نظرة الى خريطة بحيرة ادكولدليل قاطع على صحة ما نقول . ويؤيدنا في كل هذا علي باشا مبارك حيث قال : « والى الآن تشاهد آثار المدن القديمة التى بداخل بحيرة اتكو وخارجها »[1]

هذا ما نستطيع استنباطه لمعرفة موقع ادكو وما كان عليه قبل البحيرة . أما عن موقعها بعد وجود البحيرة فانها كانت أولا على ساحل البحر الرومي لما يأتى :ـ

أولا : الآثار التي طمستها الرمال والتى لانزال نعثر على بقيتها الي اليوم وأظهر هذه الآثار (الدار الحمراء) وما فى شمالها من قبور وهي لا تبعد عن البحر بأكثر من كيلو مترين

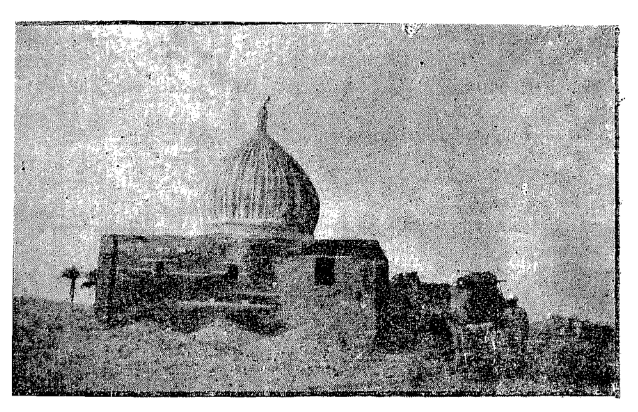
ثانياً : تحديد المقريزى « قرية ادكو على ساحل البحر »[2]

ثالثاً : مقابر بعضهم مثل (سيدى عبد الرازق) ـ انظر المقام فى الصحيفة رقم ١٩ (وسيدى علي البدوي) وكلاهما قريب جداً من الشاطيء .

وحدد علي مبارك موقعها فقال : « وهي - ادكو - واقعـة على الشاطىء الغربى لبحيرة ادكو قريبـة من البحر المـالح على نحـو ألف وخمسمائة متر »[3]

---

١) التوفيقية ٢) التوفيقية ا : ٢٠٧ ٣) التوفيقية ٨ : ٥٠



(مقام سيدى عبد الرازق على ساحل البحر)

والحقيقة أنه لم يراع الدقة فى تحديده ، واليك البرهان :—

١ ـ اذا كانت ادكو واقعـة علي الشاطيء الغربي لبحيرة ادكو ـ كما يقول ـ لـكان معني هذا أن موقعها غرب المعدية التي تقع غرب ادكو بمقدار ١٤ كيلو مـــترا . وليس معنى هذا مدى اتساعها قـديما ، ولا يضطرد مع ما قاله عن ادكو وما فيها مما سنبينه بعد .

٢ ـ بالاطلاع على الخريطة نرى أن البحيرة تبعد عن شاطيء البحر من موقع ادكو الحالى بمقـدار ثلاثة كيلو مترات على حين أنها غربا تـكاد تتصل بالبحر عند المعدية . فكيف جاز لعلي باشا مبارك أن يقول (على نحو ألف وخمسمائة متر) ؟ !

٣ ـ بنـاء على قوله « على الشاطيء الغربي لبحيرة ادكو . . . » كان

لأجدر أن يقول متمما « على الشاطيء الغربى لبحيرة ادكو على البحر المالح » لا « قريبة من البحر المالح » كما يقول .

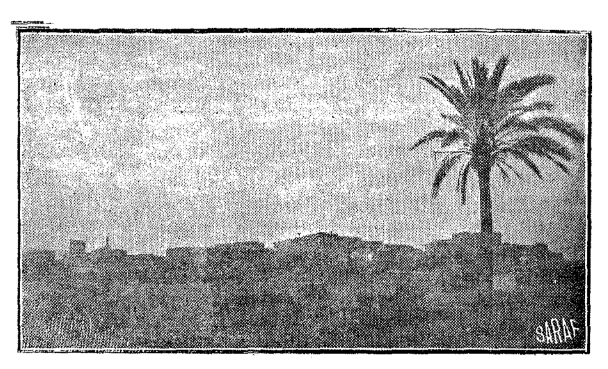
وهذا غير الواقع . وأقول ان السبب الذى حدا به الى هذا : هو نه أراد ان يقول « على الخليج الغربى لبحيرة ادكو » وهو ما يسمي الآن بعد مد السكة الحديدية (الملاحة الغربية) .

٤ ـ ومما يثبت أنها كانت تبعد عن البحر بمقدار ألف وخمسمائة متر كما يقول علي مبارك أن الآبار الموجودة بالرمال لاتتعدى هـذه المسافة من شاطيء البحر الى الجنوب .

وانما أصبحت ادكو في موقعها الحالى لطغيان الرمال التى تدفعها الرياح الى الجنوب فتدفع معها السكان . فأصبحوا على الرغم منهم يبعدون عن شاطي البحر وكانت سفنهم تجوبه معبأة بالخيرات ، فاضمحل شأنها ، ثم انهم في سنة ما لجأوا الي هذه التلال بعد أن أغرق ماء البحيرة (قصورهم[1] ـ وحميرهم ـ وجمالهم ـ وجاموسهم) واتخذوا من التلال مستقرهم ومقامهم ، وبذلك انحصروا بين قوتين : الرمال الثائرة من الشمال ، والمياه الجائرة من الجنوب ، ولما كانت الرمال لا تستقر على حال لهبوب الرياح معظم الأيام ، عمدوا الى حيلة لصد غاراتها على موطنهم فاهتدوا الى (عملية التشجير) التى اتبعها الفرنسيون فى المغرب والشام لصد رمال الصحراء العاتية ـ فغرسوا الاشجار الملائمة وهى مايسمونه الآن في إدكو (الحطابي) زعماً منهم أن ذلك يحميهم من

١) القصور والحمير والجمل والجاموسه : جزائر فى البحيرة .

ثوران الرمال فكان على العكس من زعمهم ـ أن طغت الرمال على مساكنهم أكثر من ذى قبل حتى أغرقت مساكنهم وصيرتها تلا من الرمل مرتفعاً هو مايسمى الآن (كوم الطواحين) الذى ينتهي الى الجنوب بمسافة مائتى متر حيث كوم الحنبلى .



(كوم الحنبلى وعليه المنازل القديمه .)

فلم يكن لهم بد من الهجرة الى الجنوب حتى البحيرة .

وخلاصة القول أن إدكو كانت بالقرب من شاطىء البحر الابيض المتوسط ثم أخذت تنتقل الى الجنوب تدريجيا حتى شملت المسافة من الواذ[1] كوم الطواحين الى شاطىء البحيرة الشمالى واتسعت شرقاً وغرباً .

---

١) ألواذ الجبل : ما يحيط به .

﴿ إدكو ﴾

و مدينة النجوم

كانت مصر في الزمن القديم مقسمة الى أقسام (كور) عددها ٨٥ كورة بعد (بخت نصر) ثم أخذ يتناقص هذا العدد حتى جاء الاسلام فكانت ٤٠ ثم قسمت بعد ذلك الي (أعمال) عددها ٢٦ وهذه تجزأت الى كور ، لكل كورة مدينة تسمي باسمها . وظل هذا النظام سائداً الى قبيل حكومة صلاح الدين الأيوبي الذي حكم سنة ١١٧١ م.

وكان الوجه البحري مقسما الي قسمين ، الحوف الشرقي وبطن الريف يشملهما (كور أسفل الأرض)

وكانت كورة النجوم[١] احدى كور بطن الريف بها ٤٠ قرية سوى المنى ، وكانت مدينة النجوم هي مدينة هذه الكورة ، وقد اندثرت هذه المدينة ولم يبق من آثارها الا (إدكو) كما وضحنا .

وكانت إدكو والجدية من أعمال (ثغر الاسكندرية) أما بحيرة إدكو فكانت من أعمال (فوه والمزاحمين)[٢].

---

١) المقريزى ١ : ١١٧ ٢) خريطه مصر السفلى بعد زمن الناصر محمد بن قلاوون حتى القرن الثامن الهجرى (١٤ م) بالفرنسية

بحـــيرة إدكو

نصيبها من التاريخ

ليس من السهل أن نذكر لبحيرة إدكو تاريخاً مستقلا بها ما لم نتفحص أولا تاريخ الوجه البحري ومآل اليه في مختلف الأزمنة .

فقد روي كهنة مصر القدماء لمن قصد مصر من السياح أن الوجه البحري في عصر الملك (منا) أى منذ خمسة آلاف سنة ، كان مستنقعاً مغموراً بالمياه[1] فيه الأسماك والطيور . وقد اكتشف فى بعض أماكن منها قواقع وأصداف تدل على أن أصلها من بحر الروم .

وذكر بعض المؤرخين أنـــه قامت شركة لتجفيف أجزاء من هـذه المستنقعات .

ولما كانت جهات الوجه البحري مكونة من دلتا النيل فانها خصبـة التربة تجود فيها زراعة الفواكه ، وشتى المزروعات الملائمة .

ومنـــذ ألفين وخمسمائة سنة تقريباً كانت السواحل المصرية الدنيا مزارع وحقولا للملوك والامراء ، وكان (نظام الاقطاع) سائداً بينهم ، أي أن بعضهم كان (يقتطع) لنفسه إقليما فيسخر العمال في زراعته ويستأثر لنفسه بغلاتـه . ومن بين هـذه الاقاليم (إدكو) التى كانت (مقطعة للأمراء المقدمي الألوف) على حـد قول ابن دقماق[2] عند الكلام على أعمال النستراوية .

---

١) الدليل العصرى ٧٨ ٢) الانتصار ١١٣

وذكر المقريزى عن ابن وصيف شاه[1] « . . . وكانت العمارة ممتدة في رمال رشيد والاسكندرية الي برقة فكان الرجل يسير فى أرض مصر فلايحتاج الى زاد لكثرة الفواكه والخيرات ولا يسير الا فى ظلال تستره من حر الشمس . وقد عمل الملك (صا بن قبطيم) فى تلك الصحارى قصوراً وغرس فيها غروساً وساق اليها من النيل أنهارا فكان يسلك من الجانب الغربي الى حد الغرب في عمارة متصلة ، فلما انقرض أولئك القوم بقيت آثارهم فى تلك الصحاري وخربت تلك المنازل وباد أهلها ، ولا يزال من دخل تلك الصحاري يحكى ما رآه فيها من الآثار والعجائب » .

مستنقعات غرب رشيد : ويمكننا أن نقول ان المستنقعات والبرك التي في شمال مصر انما نشأت عن فيضان النيل السنوي، وكان يجف معظمها زمن التحاريق . ونستدل على هذا باطلاعنا على الخرائط الجغرافية التى أثبتها علماء الحملة الفرنسية فى كتاب (وصف مصر Description de l'Egypte) وأهم هذه الخرائط التى تحت أيدينا :—

١ ـ خريطة ترعة الأسرى التى تربط بحر يوسف ببحيرة مريوط (Canal d'el Asara reliant le Bahr Yusef au lac Mariout)
ويهمنا من هذه الخريطة (الفرع السكانوبي Branche Canopique) الذي يبدأ من فرع رشيد عند (زاوية البحر) متجهاً نحو الشمال الغربي ماراً بـ (دمنهور) و (أبو حمص) ثم ملامساً للشاطيء الغربي لبحيرة إدكو

١) المقريزى ١ : ٢٣٦

ويصب في خليج أبي قير قبالة (جزيرة أبي قـــير) المسماة بـ (جزيرة نلسن) أو (جزيرة غاروه) .

وأجمع المؤرخون على أنـــ فرع كانوب كان فى أسفل (الـكوم الاحمر) على بعد كيلو مترين من فم المعدية .

٢ ـ خريطة فروع الدلتا لابن سرابيون

Carte des branches - D'Ebn Sirapioun .

وهي أحدث عهداً من سابقتها . ويلاحظ في هـذه الخريطة أن الفـرع الـكانوبى تحول من (الـكريون) إلى الاسكندرية ، ثم وضعت نقط من الـكريون الى كانوب دليلا على أثر الفرع الـكانوبي منـ قبل . وتوجد في هذه الخريطة بحيرة تسمى (بحيرة أبي قير) بين بحيرة إدكو ومريوط . ويصب فى هذه الأخيرة فرع من النيل آت منـ اللاهون مكتوب عليه (فرع الاسـكندرية الآتى من اللاهون .

Branche d'Alexandrie vevant d'el lahoun)

٣ ـ خريطة عامة لمجارى الماء فى زمنـ العرب

Carte generale des cours d'eau d'Egypte Epoque Arabe.

وهى أحدث من سابقتها ، ونقف منها على أشياء :

ا ـ فروع النيل فى هذه الخريطة أقل منها في السابقة

ب ـ لا وجـود لفرع لاسكندرية المرسوم فى الخريطة السابقة والذي يصب في بحيرة مريوط .

جـ ـ من الـكريون الى كانوب رسمت نقط كتب عليها

(A. Bra. Conopique) أي الفرع الـكانوبي من قبل

د ـ كتب على الفرع الممتد من الكريون الى الاسكندرية Canal d'Alexandrie ترعة الاسكندرية أو (خليج الاسكندرية)

هـ ـ توجد بحيرة أبى قير بين بحيرتي إدكو والمعدية .

و ـ توجد ترعة من فرع رشيد عند فزارة تصب في الطرف الشمالى الشرقي من بحيرة إدكو كتب عليها (ترعة فزارة) Can. Fazara

ترعة فزاره

ذكرها علي مبارك فقال « هي ترعة فمها خارج من البحر الأعظم الغربي بحرى ناحية فزارة بمسافه ١٢٠٠ مترا وتتجه مبحرة الى أن تصب ببحيرة اتكو وطولها ٣ آلاف متر . . . وهى تمر على بعض عزب مستجدة عند كيمان يبلغ زمامها ٤ آلاف فدان وهي أراض مستجدة من بحيرة اتكو وهذه الترعة لها فوائد كثيرة ، ولا تنفع لري الأراضي المستجدة المذكورة ، والمنفعة العمومية الخاصة بها هي رى بحيرة اتكو فقط لزيادة نمو السمك بالبحيرة المذكورة . . . »[١]

وذكرها سمو الأمير عمر طوسون فى الكتاب الفرنسى Mèmoires sur l'histoire du Nil (Tome 1 Page 263)

LE CANAL DE FAZARA

(Idrissi est l'auteur quinous mentionne ce canal.

Au-dessous de Sindioun est au-dessu a de Rosette, sans nous indiquer l'endroit ni le nom, il nous dit

---

١) التوفيقية ١٩ : ٩٠٢

qu'un bras partait de la rive occidentale du fleuve pour se rendre dans un lac permanent qui s'étendait le long du rivage de la mer ver l'occident, et communiquait avec un autre lac qui arrivait jusq'à 6 milles d'Alexandrie, et qu'on se rendait dans cettes ville par cettevoie.

Ce bras est le canal de Fazara ; le premier lac est le lac d'Edkou, et le second est le lac d'Abou Kir)

الترجمة : كتاب (مذكرات عن تاريخ النيل . الجزء الأول ص ٢٦٣)

« الادريسى هو المؤلف الذي اعتمدنا عليه فى هذه الترعة .

فى شمال السنديون وجنوب رشيد ـ دون ذكر الجهة أو الاسم تقول إن فرعاً يمتد من الشاطىء الغربي لنهر النيل ليصب فى بحيرة دائمة تقع على امتداد شاطيء البحر نحو الغرب متصلة ببحيرة أخرى تقرب من الاسكندرية بمقدار ستة أميال .

هذا الفرع هو ترعة فزارة والبحيرة الأولي هي بحيرة إدكو والأخرى هى بحيرة أبى قير »

وبناء على قول سمو الأمير كانت بحيرة إدكو متصلة ببحيرة أبى قير .بواسطة ترعة أو خليج كان يسمي (ترعة الاتكاوية أو خليج الاتكاوية) واليك ما كتب عنها :

﴿ خليج الاتكاوية ﴾

قال علي باشا مبارك « ان فرع النهر ـ ويقصد الكانوبى طبعاً ـ كان فى أسفل هذه التلول جهة الجنوب ممتداً الى قريب من ألفى متر

يعنى قريبا من الكريون ، وان خليج الاتكاوية فى محله »[1]

﴿ ترعة الاتكاوية ﴾

وقال أيضاً في مكان آخر « ترعة الاتكاوية هى ترعة يخرج فمها من البحر الأعظم غربى فم المحمودية بنحو ألف متر تقريباً وتتجه مغربة موازية لترعة المحمودية حتى تتقابل بترعة الكريون وتقطع جميع الفروع الخارجة من ترعة الكريون وطولها ٣٦ ألف متر تقريبا وعرضها المتوسط ٥ أمتار وارتفاع المياه بها زمن الفيضان ١ متر ونصف وتمر على ناحية زرقون المستجده وبركة غطاس والكريون وعلى جملة نواح وعزب وهى معدة لرى تلك الاراضى . . . »[2]

﴿ ترعة الكريون ﴾

تقول إن ترعة الكريون المذكورة فى قول علي باشا مبارك هى الأثر الباقى من الفرع الكانوبى القديم وتبتدىء من الكريون وتنتهي عند (باب زيتون) المعروف فى بحيرة إدكو حيث (جزيرة زيتون) في غرب البحيرة . وتسمى (ترعة الكريون) أو (الترعة الكانوبية) .

﴿ خليج الحافر ﴾

ذكر الدمشقي في (القرن ١٤ م) : وبحيرة أتكو بالقرب من اسكندرية فيها خليج من النيل يسمى الحافر طوله نصف يوم وبحيرة بالقرب منها طولها إقلاع يوم وعرضها كذلك ويصاد من هذه وهذه

---

١) التوفيقية ٧ : ٥   ٢) التوفيقية ١٩ : ٩٢

السمك البورى وتحمل الى سائر الاقاليم.[1]

وذكر المقريزي « ويصب في بحيرة إدكو خليج من النيل يسمي الحافر طوله نصف يوم اقلاعاً وهو كثير الطير والسمك والعشب »[2]

—﴿ بحيرة أبي قير ﴾—

وتسمي أيضا (بحيرة المعدية) كما فى خريطة مصر السفلى بعد زمن الناصر محمد بن قلاوون حتى القرن الثامن الهجرى أي الرابع عشر الميلادى La Basse Egypte. d'après le cadastre el Naçiri au 8eme Siècle de l'Hégire (=14eme Siècle Ap. J.C.)

ولم تكن هذه البحيرة موجودة فى القرن الثانى الهجرى لأنها تكونت بعد من الخليج الموصل بين بحيرتي إدكو ومريوط.

—﴿ أيهما أقدم ﴾—

بحيرة مريوط أم بحيرة إدكو . . . ؟

كانت بحيرة الاسكندرية (بحيرة مريوط) كروما كلها لامرأة المقوقس[3] فكانت تأخذ خراجها منهم الخمر بفريضة عليهم فكثر عليها الخمر حتى ضاقت به ذرعاً فقالت لاحاجة لى فى الخمر أعطوني دنانير فقالوا ليس عندنا فأرسلت اليهم الماء فأغرقتها فصارت بحيرة يصاد منها الحيتان حتى استخرجها الخلفاء من بنى العباس فسدوا جسورها وزرعوها ثم صارت[4] بحيرة طولها إقلاع يوم فى عرض يوم ويسير اليها الماء من

---

١) نخبة الدهر ١٢١ ٢) المقريزى ١ : ٢٧٣ ٣) فتوح مصر ٧
٤) المقريزى ١ : ٢٧٣

من أشتوم في البحر الرومى ويخرج منها الي بحيرة دونها بواسطة خليج عليه مدينتان احداها الجدية والأخرى اتكووهي كثيرة المقاثيء والنخل وكلها فى الرمل ويصب في هـذه البحيرة خليج من النيل يسمي الحافر طوله نصف يوم إقلاعاً وهو كثير الطير والسمك والعشب وكان السمك بوجود هذه البحيرة في الاسكندرية غاية في الكثرة ويباع بأقل القيم وأبخس الأثمان ثم انقطع الماء عن هذه البحيرة منذ[1] أيام محمد بن مدبر عامل مصر من قبل الوليد بن عبد الملك بن مروان وبقيت الاراضي كلها سباخاً لا نبات فيها . والى الآن تشاهد آثار المدن القديمة التى كانت هناك وهى التلال التى بداخل بحيرة إدكو وخارجها »

يلاحظ أننا في إثبات قصة بحيرة إدكو وبحيرة مريوط نقلنا عن ثلاثة مراجع : (فتوح مصر) ، (الخطط المقريزية) ثم (الخطط التوفيقية) ، فقد انتهي الأول عند كلمة (ويخرج منها) وانتهي الثانى عند كلمة (منذ . . .) وابتدأ الثالث منها واستطرد .

وبامعان النظر في قصة بحيرة مريوط نرى أن بحيرة إدكو أقدم منها وبرهاننا على ذلك :

أولا : الفرع الكانوبي أقدم الفروع التى فى غرب فرع رشيد ، ومن ملامسة هذا الفرع لشاطىء بحيرة إدكو الغربى نستطيع أن نفهم أنها تسببت عنه في فيضان ما وأن الماء وصلها قبل أن تكون بحيرة مريوط .

١) التوفيقيه ٧ : ٤٩

ثانياً : بحيرة إدكو طبيعية أى أحدثها النيل في فيضانه من زمن قديم فكانت تزخر بمياهه زمن الفيضان حتى إذا انحسر عنها الماء صارت مستنقعاً ، أما بحيرة الاسكندرية (بحيرة مريوط) فصناعية أى أنها نشأت عن تدفق مياه البحر الرومي الى كروم امرأة المقوقس بواسطة أشتوم كما بينا .

ثالثاً : اذا كانت بحيرة إدكو نشأت عن بحيرة الاسكندرية لكان الأجدر أن تنشأ بحيرة أبى قير قبلها مع أن بحيرة أبي قير هذه لم تكن موجودة في القرن الثانى الهجرى كما تدلنا خريطة الأسري المذكورة آنفاً .

وهذا رد على المقريزى في قوله «ويخرج منها ـ بحيرة الاسكندرية الي بحيرة دونها وهي بحيرة إدكو »

وأظن في هذا الكفاية لاثبات قدم بحيرة إدكو بالنسبة لبحيرة مريوط وبحيرة أبى قير ، وأن تاريخها يرجع الى قبل ألفى عام تقريباً .

﴿ أصل بحيرة إدكو ﴾

قال ابن عبد الحكم « وكانت الجنات بحافتى النيل من أوله الى آخره في الجانبين معاً جميعاً مابين أسوان الى رشيد ، وسبع خليج : خليج سخا ، خليج دمياط ، خليج . . . ، . . . ،جنات متصلة »[1]

ويلاحظ أن هذه الجنات كانت مزدهرة في غرب إدكو منذ كان

---

١) فتوح مصر ٦

خليج الاسكندرية الذي ساقته الملكة (كليوباطره) كما قيل[1] أي بعد الفرع الكانوبى بزمن بعيد فكيف بها من قبل خليج الاسكندرية أى منذ كان الفرع الكانوبى . لاشك أن نصيب إدكو من هذه الجنات كان كبيراً ، فقد بنيت القصور الشامخة بين هذه الجنات ، وكثرت المبانى والاسواق وأقيمت المعابد والكنائس حتى زخرت بالمدنية وأهلت بالسكان ، وأخبرني جدى عن جده عن سابقيه قال « كانت بحيرة إدكو قبل أن يصلها الماء تسمى (وادي الزعفران) لكثرة خيراتها »

ولما كان الفرع الكانوبي أقرب مجرى يمكن أن يفهم منه أنه فاض في زمن ما فأحدث بحيرة إدكو ولا سيما أن مستوى الأرض في شرقه منخفض عنه فى غربه فان تلك المدينة الواسعة الأرجاء قد ثات وباد أهلها.

﴿ جزائر بحيرة إدكو ﴾

. . . ولما طغت المياه على مدينة القوم لم يبق الا أعاليها وهي الجزائر البارزة في بحيرة إدكو للآن أو بعض هذه الجزائر رمال كما فى جزيرة (حسن) مما يدل على أن البحيرة كانت قطعة من تلك الصحراء الرملية الممتدة فى شمالها شرقا وغربا ، وبعضها صخرى مما يدل على أنها آثار لما كانت عليه حياة الاقدمين من مدنية وعمران ، ففيها حجارة ضخمة ، ومعاصر حجرية ، وآبار وسواقي ، وقنوات ، وجدران قصور وكانت تتحلى هذه الآثار بوضوح في أيام التحاريق منذ أكثر من

---

١) فتوح مصر ٤١

عشرين سنة حيث كانت تجف البحيرة فكان يسافر أهالى إدكو على دوابهم الى دمنهور رأساً مخترقين البحيرة الى الجنوب . وفيما يلى أسماء هذه الجـزائر :

القصور (٢ شمالية وجنوبية) – البُرتلّ – الدُرَوِعية – الحمير – الجمـل الدرفيل – الطويله – الفحوم (٢ الصغرى والـكبرى) – النقعة – القش الرقبة – الميت – منقار دياب (مجمـوعة جزر) – قرن دياب (مجمـوعة جـزر) – الذهب (٢ الـكبرى والصغرى) – الكنائس – فجنون الكارِكة – المفرخـة – التبن – أبو راس – طللوز – المقطوعة – حسن قطاره – القتلي – منقار البطة – زيتون – صاوه – العرسه .

هذا – وبطغيان المياه على مباني القوم وآثارهم طاحت مدنيتهم فى البحيرة فانتقلوا الى الصحاري التى في شمالها فلبثوا بهـا ردحاً من الزمن ثم دارت عليهم دوائره (فلما انقرض أولئك القوم بقيت آثارهم في تلك الصحارى وخربت تلك المنازل وباد أهلهـا ولا يزال من دخل تلك الصحارى يحكى مارآه فيها من الآثار والعجائب)[١]



١) المقريزي ١ : ٢٣٦

ـــ﴿ إدكو ﴾ـــ

في عصورها المختلفة

نستطيع أن نقسم تاريخ إدكو الى ثلاثة عصور متميزة :

أولاً : إدكو قبل الاسلام .

ثانياً : إدكو من الفتح الاسلامي حتى زمن محمد علي :

ثالثاً : إدكو من زمن محمد علي الى اليوم .

﴿ أولاً : إدكو قبل الاسلام ﴾

ذكرنا فيما سبق ما كان عليه اقليم إدكو وبحيرتها وكيف كان زاخراً بشتى المدنيات الزراعية والصناعية والعمرانية من عهدالفراعنة والبطالسة والرومان . وليرجع القارىء الي قول ابن وصيف شاه « وكانت العمارة ممتدة فى رمال رشيد . . . » .

ولقد أتينا على موقع إدكو قديما وحديثاً ومدى اتساعها وتبعيتها لمدينة النجوم . . وقلنا إدكو كانت اقطاعية لمقدمي الألوف من الامراء يستغلون كرومها وظلت كذلك حتى زمن القبط .

وليتصور القارىء مدنية البطالسة فالرومان ثم القبط في مصر وثبوت أقدامهم فيها وعنايتهم بشئون دياناتهم واقامتهم من أجلها الهياكل والمعابد والكنائس أنىّ كانوا ، وتشييدهم القصور فى ألواذها احتماء بها والتئناسا ، ثم حفرهم الترع والآبار يستغلون بها الخيرات الحسان التى

تدرها عليهم هذه الاقاليم .

هذا أقل مايجب أن يرسمه المصور في ذهنه لاستيعاب مرافق الحياة في ذلك العهد السحيق .

وفوق هذا فان الآثار القديمة الراهنة رهن البلي والتى مالبثت الى الآن رمز المدنية والحضارة وشبح القديم المتداعي تزجي الى الأجيال رسالتها ما بين مُعرض ومستهجن ، وعما قريب تفني فناء الظلال ، وتخفى خفاء الأشباح ، فهل من متدبر منصف يستوعب هذه الظلال قبل فنائها فيحدد نهاياتها ، ويحقق هذه الاشباح قبل خفائها فيثبت بصره على مكان مثولهـا حتى لا تضيـع اهتزازاتهـا على صفحـة النهار نهـار النهوض والتقدم . . . ! !

﴿ تلك آثـار نـا . . . ﴾

أولاً : الحجارة : ١) حجر منقوش على بئر قاسم ٢) حجر على مدخل مسجد الجبرتى من الداخل ٣) حجر عثر عليه أحدهم عند (الكنائس) وهو تحت يد المؤلف الآن ٤) تمثال لجسم إنسان تحت مئذنة الحصاني ٥) تمثال نصفي لرأس أسد تحت الجدار الشمالي لمسجد الجبرتي ٦) أحجار المعاصر فى جزائر البحيرة .

ثانياً : الآبار : بادكو عدد كبير من هذه الآبار في الرمال ، وباطلاعنا على خريطة مصلحة المساحة لادكو سنة ١٩٣١ استطعنا تحقيق أكثر من ثلاثين بئراً منها وبعض هذه الآبار مبنى بناء محكماً وجلها في أوضاع

هندسية منتظمة فمثلا يوجد في شمال (بئر زيتون) المعروف لدى الاهالى سبعة آبار على صف واحد بين البئر والآخر عشرون متراً . وكذلك فى شمال مقام سيدى خلف صف من الابار اوسعة الى الشمال .

وهذه الآبار نهب بين الرمال وعوامل التعرية ، ويرجع اكتشافها في هذه الرمال الى ما يزيد عن مائة عام ، فكان يعثر عليها عن طريق الصدفة إذ يحفر الاهالى فى حقولهم الرملية ، وكانوا يعملون بجد على اخراج ما فيها من مقذوفات الرمال ويصلحون منها مايحتاج الى الاصلاح .

وهذه الآبار على أنواع ثلاثة : فمنها ما هو مستدير قطره يزيد عن ثلاثة أمتار ، وأحيانا يكون أقل من هذا الى أن يكون مترا ، ومنها ما هو مربع ضلعه من متر الى مترين ، وكلها مبني من حجارة صلدة كالصوان . ولا يخفى ما كان لهذه الآبار ومالها الآن من فضل على المزروعات الصحراوية واتخاذها للشرب إذ لا معين غيرها هناك . وفيما يلي أسماء هذه الآبار :

بئر قاسم — بئر الحلو — بئر صديق — بئر زيتون — بئر قطيط بئر العبد — بئر القوالب — بئر شلبي — بئر السنجق — بئر البركة بئر عيده — بئر أم عبد الله — بئر الشيخ — بئر طاجن — بئر الامير جببر — بئر الشريف — بئر العرضي — بئر سيدى عبد الرازق بئر الجميزة — بئر خميره . وكثير من الآبار غير هذه لا يزال مدفونا .

وبرغم تسميات معظم هذه الآبار بأسماء العائلات الحديثة كما يرى

فانها قديمة ، وإنما سميت بها لسببين هما حذر الالتباس ودليل الملكية .



(بـئر جبـير)

ويلاحظ أن أسماء بعضها غريب مثل السنحق والعبد والجميزة مما يدل على وصول الأتراك المماليك الى إدكو فيما بعد ، واحتلالهم هذا البئر (السنجق) لأنهم قسموا مصر الى ٢٤ سنجقاً أي مديرية .

ويقال ان بئر العبد سمي بالعبد العاصي الذى أبق من سيده فقتله وألقى به في البئر .

أما بئر الجميزة فسمي باسم شجرة الجميزة الكبيرة التى كانت تطل عليه.

ويسمي الأهالى حقولهم بهذه الآبار فيقولون (في بئر الحلو) ، (في بئر قاسم) ، (في بئر صديق) . . . ويقصدون الحقل الذى فيه كل من هذه الآبار على سبيل المجاز .

ثالثاً : البساتين : يجد كثير من الأهالي حين يحفرون في الرمال بمساحيهم آثار جذور الكروم والتين ، أما الابار ـ وقد سبق ذكرها ـ فان دلت على شيء فانما تدل على ما كان يحيط بها من حدائق . ويعثر الصيادون في بحيرة إدكو على آثار السواقي التى كانت تستعمل في الزراعة . ومن هذه الآثار قنوات مبنية من الحجر ممتدة الى مسافات ، ومنها آبار هذه السواقى . وقد أخبرني جدى عن جده قال « كان بين (مياح) ـ و(الجزائر) ألف سهم دائر »[1] واستفسرته معنى السهم الدائر فقال « السهم الدائر هو الساقية »

وإذ قلنا عن الأنهار التي سيقت الى هذا الاقليم في زمن الملك صا ، والترع التى كانت تصله من النيل مثل : فزارة والادكاوية فلا يستبعد بحال من الأحوال نصيب إدكو من تلك (الجنات) على حد قول ابن عبد الحكم .

رابعاً : المباني القديمة : الجزائر العديدة المنتشرة في طول بحيرة إدكو وعرضها كلها تحوى الكثير من الأبنية القديمة التى هي آثار مدن قديمة كما سبق ذكره . ففي الجهة الشرقية من بحيرة إدكو (جزيرتا القصور) وبها من الاثار مايدل على وجود قصور قديمة فيها . وإذا تيسر لك الوقوف بهاتين الجزيرتين تشعر بأن الارض تهتز من تحتك وترن رنيناً مستغرباً .

١) مياح : اسم حقل في شرق ادكو ـ الجزائر : اسم حقل في غربها وبينهما أكثر من ٨ كيلو مترات .

وكذلك آثار المباني القديمة في الجهة الغربية من البحيرة حيث الجزائر العديدة بسبب قربها من الفرع الكانوبي القديم وأهمها (جزيرة الذهب) و (جزيرة القتلى) ، وماجاورهما .

وكان في شمال كوم مياح الكائن شرقى إدكو دار أثرية تسمى (الدار الحمراء) ، وكانت لاتزال آثار أحواضها الرخامية حتى نقضها الاهالى من منذ مائة سنة واتخذوا حجارتها وآجرها ، وشقفها في أبنيتهم وظلوا ينقضون فيها سنين وعثروا على أوان فخارية خاوية مبعثرة دليلا على ما كانت تحتوبه من كنوز . وعثروا أيضاً على مقابر قديمة فى شمالها طمست معالمها الرياح وقد أعملوا فيها مساحيهم فارتدت واهنة .

ولا يزال الأهالي يذكرون هذه الدار باسمها الى اليوم ، وبقيت أطلالها دليلا عليها .

خامساً : الكنائس والمعابد : ذكر علي باشا مبارك في صدد الكلام عن الفرع الكانوبي (الكوم الأحمر) فقال « وفم فرع كانوب كان في أسفل الكوم الأحمر على بعد كيلو مترين من فم المعدية . وفى هذ الموضع (محل الكوم الأحمر) كان معبد (هيركول) . وذكر المؤرخون أن هذا المعبد كان في غاية الاحترام حتى كان من يدخله من الأرقاء لا يؤخذ منه ولا يتعرض له وبسبب هذه المزية كثرت عنده المساكن حتى صار حوله كمدينة أو قرية كبيرة »[1]

ونقول ان (الكوم الاحمر)هو ما يسمى الان (الطابية الحمراء)

---

١) التوفيقية .

وبامعان النظر في هذه الطابية نرى أنها تل مرتفع عما حوله ، وفي سفحه الجنوبى جدران قديمة كلها ثقوب تكاد تنهار لولا سمكها ، وعلى هذه الجدران مسحة من التعبد ، ونحن نؤيد علي باشا مبارك في قوله (على بعد ٢ كيلو مترين من فم المعدية) ونستعين بقوله (حتى صار حوله كمدينة أو قرية كبيرة) على إثبات أن الجزء الغربى من بحيرة إدكو وما يليه كان حافلا بالمدنية ، ولاتزال الجزائر الغربية الواقعة في جنوب المعدية تحوي كثيراً من الآثار .

وحدثنى بعض الأهالي بأنه كانت (كنيسة كالوش) ـ سميت باسم بانيها ـ ، ولا تزال أطلالها بين مقامي (العجمي) و (خالف) فى شرق (كوم الطواحين) .

أما جزيرة الكنائس التى فى جنوب بحيرة إدكو وما يليها من الجنوب فيقيننا أنها ما سميت بذلك عبثاً وانما كانت اسما على مكان الكنائس التى بناها القدامى ابتغاء على دياناتهم .

سادساً : أسماء قديمة : من دواعى الدهشة أسماء بعض أماكن إدكو تلك الاسماءالغريبة التركيب مثل : مياح ، سواده ، قرقوره ، المعصرة ، كوم بولاج ، قرن شعيب ، النوى ، الجزائر . . . وكلها أسماء على حقول رملية .

على أنه يمكننا تأويل كلمة (مياح) هذه وتحليلها الى كلمتين هما (مَاحْ) و (يَاحْ) ، واعتورها التحريف حتى صارت (مياح) . أما

(ماح) و (ياح) فهما ملكان من القدماء وكلاهما ابن الملك بيصر[1]. وكذلك (قرقوره) كان ملكا حكم ٦٠ سنة بعد أبيه (مرنيوس)[2]. أما (المعصرة) فنقول انها كانت اسما على مكان (عصر الخمور) التى ضاقت بهـا امرأة المقوقس ذرعا لكثرة ما يرد عليها من الكروم .

وباطلاعى على بعض عقود بيع العقارات قديماً التى تحت يد بعض من الأهالى عثرنا على أسماء أمكنة لم تكن في الحسبان إذا نحن لم نوقن بمدنية إدكو القديمة ، فمن هذه الاسماء مثلا : سوق الغدا ، الساحة ، سوق المحناطة ، الصاغة . ولا مشاحة في أن هذه التسميات كانت دليل العمران في إدكو .

سابعاً : الاساطير القديمة : ويتناقل الأهالى جيلا عن جيل أساطير قديمة هى أشبه بالحقيقة منها بالخرافة . ومن هذه الاساطير :

كان الملك (مياح) قد أحب بنت الملك (غاروه)[3] ، وبرح به الوجد والهيام أن لم ينل من محبوبته المراد ، ولما ضاق بالشوق ذرعا جمع السحرة والكهنة وقص عليهم أمره فعملوا التعاويذ التي بها كانت تأتيه محبوبته كل ليلة يستدعيها بالسحر عند الغسق ، ويرسلها عند السحر وذات يوم أفضت البنت الى أبيها بما يصيبها كل ليلة فحنق (غاروه) على (مياح) حنقا أدى الى قيام الحرب بينهما ، وبلغت الموجدة (بغاروه) أن صب الزئبق عند شاطى البحر الرومي وبذلك طغي الماء فسمى فيما بعد

١) فتوح مصر ٨ ٢) فتوح مصر ٣٠ ، المقريزى ١ : ٢٣١
٣) اسم جزيرة في خليج أبى قير

(بحيرة إدكو) فأغرق ممتلكات (مياح) وأصبحت أثراً بعد عين ، وأوى الى تل يعصمه من الماء وهو مايسمى الآن (كوم مياح) حيث بني (الدار الحمراء) ودفن في شمالها من قتلوا في الحرب، تاركا (قصوره) الشاهقة.

أما المكان الذى عنده صب (غاروه) الزئبق فقد أحدث (فم المعدية) الذى فصل إدكو عن المعدية والاحرى رشيد عن الاسكندرية ، وفى أواخر القرن ١٩ أقيمت عليه قنطرة للسكة الحديدية ، وأقيم في شماله أيضاً كوبرى المعدية للسيارات فى سنة ١٩٢٢ تكملة للطريق الزراعي ويبلغ طوله عشرين مترا ، والمعروف عن الماء تحت القنطرتين أنه شديد الغور قوي التيارات المائية .

ثامناً : العملة القديمة : روى لى كثيرون أنهم عثروا على نقود فضية ونحاسية إذ هم يحفرون فى الرمال التى في شمال كوم مياح وغيرها. وأبلغني الشيخ احمد غانم أنه قرأ على أحد هذه النقود (إدكو القاهرة) بخط متميز ، وان كان ذلك يدل على عمران إدكو في غضون الدول الاسلامية

ولعلنا بهذا أحطنا بكل ما يمت الى التاريخ بأثر أن ذكرنا ما أمكن ذكره لنستند اليه في تلمسنا الماضي السحيق .

﴿ ثانياً : إدكو والفتح الاسلامى ﴾

من المعلوم أن مصر فتحت فى خلافة عمر بن الخطاب على يد عمرو ابن العاص الذى استولى على الفرما وبلبيس وقصر الشمع وعبر النيل ووصل دمنهور حتى بلغ الاسكندرية حيث عقد الصلح مع (المقوقس)

عظيم القبط في مصر . وقد ذكر الامام الواقدى كتاباً أرسله عمرو بن العاص الى الخليفه عمر مع (سالم بن بجيعة الكندى) نقتطف منه :

« . . . والحمد لله قد فتحت لنا مصر والوجه البحرى والاسكندرية ودمياط ولم يبق في الوجه البحري مدينة ولا قرية الا وقد فتحت وأذل الله المشركين وأعلى كلمة الدين . . »[1]

وذكر فى مكان آخر الامراء الفاتحين فقال « . . . وكانت الصحابة لمــا فتحت مصر والوجه البحرى قد تفرقوا منهم في الاسكندرية وأمسوس ودمياط ورشيد وبابيس . . . »[2]

ويفهم من هاتين العبارتين أنه لما فتحت الاسكندرية سارت جيوش الاسلام شرقاً الى رشيد ، ومما لا ريب فيه أنها مرت في طريقها بادكو فدخلها الاسلام قبل ان يبلغ رشيد . وحيث فتحت إدكو استقر بهــا بعض امراء الاسلام الفاتحين كما استقر غيرهم فيما فتحوه .

ويرى المطلع على فتوح بلدان مصر فى الاسلام ان لكل بلد قصة غريبة في الفتح ، على أنى لاحظت ان لكشف أسرار السراديب الخفية الفضل الأكبر فى تلك الفتوح كما يتضح ذلك من قصص فتح مريوط وأهناس والبهنسا في كتاب الواقدى (فتوح الشام) ج ٢

قصــة فتح إدكو

وقصة فتح إدكو فريدة فى نوعهــا مسهبة في تفاصيلها ، ولذلك ألف في فتحها كتاب أخبرنى الشيخ بيومي الشيخ من علمــاء إدكو أنه

١) فتوح الشام ٢ : ١٣٠ ٢) فتوح الشام ٢ : ١٣٢

اطلع عليه منذ ثلاثين سنة . وتلك هى القصة موجزة :

فتحت مدينة إدكو في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب بأمر من عمرو بن العاص على يد أحد العبادلة ولعله عبد الله بن عمر ، وكان ملكها إذ ذاك (زَرَنْـدْ) وكان ماكراً مخادعاً كثير الحيل خرج بجيوشه الجرارة لمقاتلة العرب فالتقى الجمعان في غرب إدكو واحتدم القتال وطال حتى ضاق بهم ذرعاً فالتجأ الى الحصون وغلق الأسوار فحاصر العرب ودام الحصار ستة أشهر لم يحرم فيها أهل المدينة خيراتهم لكثرة كرومها وفواكها ، وما كانوا ليحتاجوا الي شيء من الخارج الا قليلا . فأيقن العرب انهم ان لبثوا على حصارهم هذا فانهم سوف لا ينالون ما يبتغونه فشكوا أمرهم الى أميرهم فأرسل جواسيسه حول الأسوار ليلا عساهم يظفرون بما يدلهم ويهديهم . وفي ذات ليلة خرج سيدى منصور — ولعله منصور بن عمار — من الجيش وصار يخترق الظلمات والفيافى حتى رأى شبحا فتبعه وتبينه فاذا به امرأة تمشي بطيئة اذ تحمل على رأسها شيئاً فظل يتبعها حتى وضعت ما على رأسها ومدت يدها الى باب من رخام في الارض ففتحته وهمت بالنزول فيه ، وسرعان ما انقض عليها سيدى منصور المذكور وأمسك بيديها وأمنها على نفسها ، وأخذ يسائلها وتجيبه على النحو الآتي :—

— ما اسمك ؟ — اسمي نورانه

— ما هذا الباب الذى فتحته ؟ — هو باب سر نقضى منه

حوائجنا فى مثل هذه الايام العسيرة ولا يعلمها الا أهل المدينة (إدكو)
ـ وعلى دين من أنت ؟ ـ على دين محمد .
ـ وكيف بلغتك رسالته ؟ ـ سمعت بمرماها فتفقهتها فآمنت . . .
ـ والي أين يوصل هذا السرداب ؟ ـ الى داخل المدينة فيمضي الداخل فيه من تحت الأسوار وحبذا لو فتحتم هذه المدينة فتخلصون أهلها من ويلات هم فيها مغرقون . وأستحلفك أن تكتم أمرى . .
ـ سيرى فأنت على نفسك أمينة .
ثم تركها تدخل وأغلقت الباب خلفها فوضع سيدى منصور علامة على مكان الباب وذهب توا الى اصحابه وأخبرهم بما رأى فأخذوا للأمر أهبتهم وساروا فى جيش جرار يحدوه الايمان بالله وبرسالة نبيه والجهاد في سبيلها حتى وصلوا الاسوار فتفرقوا حولها وأمر أشداءهم بفتح السرداب ففعلوا . وما أصبح الصباح حتى دخل العرب المدينة فتعالى تكبيرهم وتهليلهم وما سمع أهل المدينة هذا اللجاج حتى قاموا مذعورين لا يلوى احدهم على الآخر فحكم العرب فيهم السيف حتى قتلوا منهم الكثيرين . فما كان عصر اليوم حتي رفع الملك راية الأمان والاستسلام فتقدم الى الصحابة يستأمنهم على نفسه فقالوا له :
ـ أجب الامير واطلب منه الأمان .
فلما مثل بين يديه سأله :
ـ من أنت ؟ وما تريد ؟ ـ انا الملك. وانا مسلم واريد الأمان
ـ إذا كنت الملك وانت مسلم حقاً فأخبرني عن الكلمة التى دخلت بها

دين الاسلام ؟ فأسقط فى يده ولم يدر بم يجيب. فقال له الامير :
ـ أما الأمان فبأحد أمرين : إما الاسلام ، وإما الجزية :
فسأله عن الجزية فقال : ـ يدفع كل منكم دينارا وهو صاغر
ـ وما الصغار . . . ؟ ـ يدفعها والسيف فوق رأسه
ـ أختار الاسلام . فأمره بالنطق بالشهادتين فنطق بهما وتبعه
أصحابه وتم الأمر على ذلك بينهم . وأقام العرب بعد ذلك أياماً ثم رحلوا الى رشيد وتركوا خمسة وعشرين رجلا منهم يعلمون اهل إدكو شرائع الاسلام فمكثوا بها يومين ، وفى اليوم الثالث انقض الملك عليهم بجنوده فقتلوا العرب عن آخرهم .

ولما كانت (نورانة) فى اسلامها صادقة ، رأت ذلك فعز عليها ما فعل الملك فى المسلمين فذهبت الى العرب واخبرتهم بقتل جنودهم . فرجع سيدنا عبد الله المذكور بجيوشه ودخل المدينة عنوة وحكم السيف فى الاعناق حتي قتل الملك زرند وفرض الجزية على من لم يسلم حتى استتب للمسلمين الأمن فيها وتم لهم فتحها .

هذه قصة الفتح الاسلامى فى إدكو نذكرها كما فهمناها من محدثنا بايجاز عما قرأه ، ولا نستبعدها منه عن إدكو لما عرف عنه من صدق المخبر ولما نعتقده من وثيق العلاقة وتشابه المحور بين هذه القصة وبين قصة فتح مريوط[1] من حيث الاستدلال بشخص رجلا كان او امرأة الى السرداب الخفى الموصل الى داخل المدينة كما يفهم ذلك من (فتوح الشام) للواقدى .

١) فتوح الشام ٢ : ٤١

﴿ إدكو بعد الاسلام ﴾

وانتشرت تعاليم الاسلام فى إدكو وتغلغلت في القلوب حتى كانت بهـا أشد إيمانا وتمسكا . كيف لا وقـد خلصهم من نير العبودية الذى فرضه على أكتافهم ملوك طغاة بغـاة ، خسرة فجرة ، يسومونهم سوء العذاب ، ويسخرونهم فيما لايعود عليهم إلا بالمذلة والاستبداد . وتلك سنة الفتوح في كل عصر فان أمـة ترزح تحت استبداد حاكميها بطبعها تواقة الى يد النجاة تنشلها من حمـأة الذل والمهانة وتخلصهـا من عبء أثقل كاهلها .

أسلمت إدكو واتخذها بعض أمراء المسلمين مستقراً ومقاماً ، وتمضى العصور وتتقلب دول الاسلام على مصر وتنال إدكو حظها منهـا بقدر ماقدر لها وهى أشد ماتكون استمساكا بدينها حتى نبغ منها الكثيرون في أمور دينهم .

وادكو مـدافن المسلمين الذين قتلوا زمن الفتح حينما نقض (الملك زرند) عهده مع الأمير المسلم ، ويعرف منهم : (شافع) بن السائب ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ولا يزال مدفنه مبنياً على ربوة من الرمل على ناصية الجبانة الحالية ، والمعروف أنه كان حوله مسجد كبير له بئر تدور ساقية لملئه بالماء العذب ، ولما تهدم قام الأهالى وبنوه على النحو الذى عليه الآن . وهو على يسار الطريق الذاهب الى الغرب وكان يسمى قديماً (الدرب الاسكندري) لأنه الطريق الوحيد

الذى كان يسلكه المسافرون من رشيد الى الاسكندرية حيث كانت المقابر على كلتا جانبيه ممتدة الى شاطيء البحيرة جنوبا والى آخر الملاحة الغربية من الشمال . ومنهم أيضاً سيدى منصور بن عمار (الزرزورى) وقد دفن بمقبرته التي على شاطىء خليج بحيرة إدكو أى على الملاحة الغربية الآن . ومقامه يدل على انه عند مدخل إدكو اى السرداب الخفى الذى دخلت منه نورانه كما سبق فى القصة .

وحدثنى الحاج محمد علي عثمان المدني وهو رجل عابر سبيل يأتى كل عام الي إدكو ويتخذمن مقام سيدى منصورالمذكور مبيتاً قال « سيدى منصور هذا كان زميل عكاشة وقيل انه حضر (غزوة الخندق) سنة ٥ ه وسمي بالزوزورىلأنه كان دائب الزيارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم »

وتوجد مدافن الأقباط الذين تطاروا اشلاءحينما تحكم السيف فيهم ولا زالت الى الآن تسمي باسم (جبانة الأقباط) واقعة في غربي مكتب خفر السواحل .

﴿ علمــاء إدكو قديمــاً ﴾

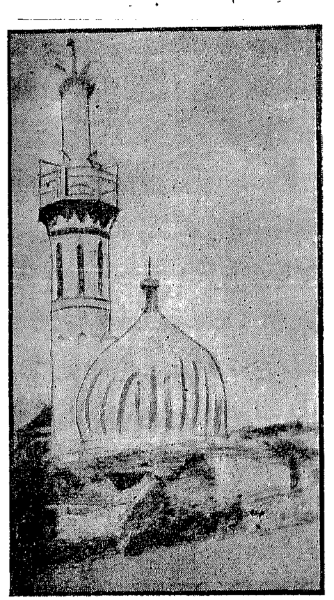
ابراهيم بن عمر : وهو البرهان ابرهيم بن عمر بن محمد الادكاوى . ذكره الزبيدى فى قاموسه[1] ولم يزد على قوله : وهو عصرى المصنف .

ونقول انه كان عالمـاً كبيراً واماما من أئمة الدين تتلمذ على يديـه الكثيرون . وقيل انه كان حائكا ، توفي بادكو ودفن فى مسجده الذى

---

١) تاج العروس ٧ : ٩٩

تخرب الآن وصار مهجوراً تأوى اليه هوام الأرض ودوابها وتنعق فيه البوم والغربان . وقد تسنى لنا النزول الى مقبرته تحت قبته باطمئنان حذر انقضاض حيطانه علينا ، وتبين لنا أن منبره من صنع المعلم قاسم زيتون النجار ويقيناً أنه استحدث بعد أن تهدم مرة قبل هذه . وقد طغت الرمال عليه حتى أنه تقدر المسافة من أسفل المقبرة من الداخل الى سطح الأرض من الخارج بمقدار أربعة أمتار ، وهذا دليل آخر على طغيان الرمال على إدكو قديماً ولذلك عملت سلالم للنزول بها الى صحن المسجد .



ويقع هذا المسجد في غرب كوم الطواحين مباشرة ، وقد همّ أهالي إدكو باصلاح هذا المسجد وإعادته الى الصلاة كسابق عهده ، وطلبوا ذلك الى وزارة الاوقاف باعتبارها القيمة على أوقاف سيدى ابراهيم بن عمر بادكو والامر الآن بين الرفض والقبول ويرى فى الصورة القبة والمئذنة ويتضح مافيها من ثقوب الفناء .

احمد علي موسى :ذكره الزبيدي فقال (وهو الشهاب احمد بن علي موسى الادكاوى أحد مشايخ شيخ الاسلام زكريا الأنصارى فى طريق القوم أخذ عن بلديه ابراهيم بن عمر .)

ابن سلامه الادكاوى : وهو الشيخ محمد بن سلامه بن محمد بن احمد بن ابراهيم بن أبي محمد بن علي بن صدقة الشمس الادكاوي نقـلا عن السخاوي[1] ـ شافعي ويعرف با بن سلامه الادكاوي ولد بادكو غام ٨٣٨هـ (١٤٣٤م) فقرأ بها القرآن وبعض رسالة ابن أبي زيد على مذهب والده ثم تحول شافعياً وحفظ المنهاج وعرضه على البلقيني والمحلي وابن الملقن وغيرهم وتفقه على بلديه (رمضان) وأخذ عنـه فى الفرائض والأصول والعربية وطريق السلوك ثم ارتحل الى (فوه) فأخذ عن ابن الخلال كتباً كالمنهاج والتنبيه ولازمه أربع سنين في شرح الدميري والجمل للزجاج وغير ذلك فى الفقه وأصوله والنحو وقرأ عن الفقيه شمس الدين بن الترس الفرائض والحساب حتى استوفى النزهة لابن الهـائم والتصوف عن أبى الفتح الفوي وقرأ عليه رسالته مرتين وعلى امام الكاملية بعض (بداية الهداية)للغزالي ولبس منه الخرقة وتردد على عبد الرحيم الأبناسى وابن قاسم وغيرهما ومهر وتميز وأذن له ابن الخلال في تدريس الفقه والعربية وكذا أذن له غيره وكتب له اجازة هائلة وانتفع به أهل بلده بل وبعض الواردين وكتب على متن أبي شجاع شرحا قرظه له كل من ابن الخلال والعبادى وعرض عليه المناوي قضاء بلده فأبى وحج غـير مرة أولها

[1]) الضوء اللامع .

سنة ٦٩ ولازم باخرة آخذ قماشا معه مع عدم حظه فى التجارة لغلبة سلامة الفطرة عليه وكونه فى أكثر أوقاته متوجهاً وتمادى فى ذلك حتى سافر من مكة إلى (هرموز) بمتجر أكثر مما استدان فيه فباعه أكرم بيع وأكرمه صاحبها وعاد على أحسن وجه فخرج عليهم السراق فسلبوهم فتوصل لعدن فأكرمه ابن طاهر وتبضع من هناك وركب البحر راجعاً راجياً الاستشراف على وفاء دينه فمات على ظهر البحر في أثناء سنة ١٤٨٧ م ودفن هناك، وكان فى الصلاح والخير بمكان رحمه الله تعالى » تلك ترجمة ابن سلامه الادكاوى ننقلها بحذافيرها عن على باشا مبارك [1] نقلا عن السخاوى في (الضوء اللامع) .

<u>عبدالله الادكاوى</u> : وهو الشيخ أبوصالح عبدالله بن عبدالله بن سلامه الادكاوى الشافعي الشهير بالمؤذن . ولد بادكو سنة ١١٠٤ هـ سنة ١٦٩٣ م ونشأ بالقرية المذكورة وحفظ القرآن بها ثم أتى إلى مصر فحضر دروس علماء عصره واشتهر بفن الأدب [2] ولازم فخر الأدباء فى عصره السيد على افندى برهان زاده نقيب الأشراف فأكرمه وكفاه المؤونة من كل وجه وصار يعاطيه كئوس الآداب ويصافيه بمطارحة أشهى من ارتشاف الرضاب وحج بصحبته في سنة ١١٤٧ هـ وعاد الى مصر وأقبل على تحصيل الفنون الأدبية فنظم ونثر ومهر ورحل إلى رشيد وفوه والاسكندرية مراراً واجتمع على أعيان كل منها وطارحهم ومدحهم ثم بعد وفاة السيد النقيب لازم الشيخ الشبراوى مدة وبعد وفاته لازم

---

١) التوفيقية ٨ : ٥١ ٢) انظر القسم الخاص بشعراء ادكو فى موضعه من الكتاب

الأستاذ الحفنى سفراً وحضراً فحصلت له العناية وألف كتباً كثيرة منها الدرة الفريدة والمنح الربانية في تقسيم آيات الحكم الفرقانية ومختصر شرح (بانت سعاد) والنزهة في الفرائض وديوانه المشهور الذى جعله على حروف الهجاء وغير ذلك . توفي يوم الخميس ٥ جمادى الأولى سنة ١١٨٤ هـ (سنة ١٧٧٠ م) وصلى عليه بالأزهر ودفن بتربة المجاورين قريبا من الشيخ الحفنى [١]

علـى الجبرتى : بلاد الجبرت بلاد الزيلع بأراضى الحبشة وهى عدة بلاد تسكنها هذه الطائفة من المسلمين ويتمذهبون بمذهب الحنفى والشافعى لاغير وينسبون إلى سيدنا أسلم بن عقيل بن أبى طالب . .. [٢] ومنهم الولى العارف الشيخ علي الجبرتى الذى كان يعتقده السلطان الأشرف قايتباى وارتحل إلى بحيرة إدكو فيما بين رشيد والاسكندرية وبنى هنالك مسجداً عظيما ووقف عليه عدة أماكن وقيمان وأنوال حياكة وبساتين ونخيلا كثيرة وهو موجود إلى الآن عامر بذكر الله والصلاة وهو تحت نظر الفقير إلا أن غالب أماكنه زحفت عليها الرمال وطمستها وغابت تحتها وفيه إلى الآن بقية صالحة وبنى أيضا مسجداً شرقى عمارة السلطان قايتباى ودفن فيه وقد تخرب وانطمست معالمه ولم يبق إلا مدفنه وحوله حائط متهدم من غير باب ولا سقف ، وبابه ظاهر مكشوف يزار » [٣].

ونقول إن مسجد الجبرتى لا يزال إلى اليوم عامراً ، وله مئذنة عالية بل هى أعلى ما فى إدكو من مآذن ودور . وهى التى في طرف صورة

---

١) الجبرتى ١ : ٣٠٦ ٢) التوفيقه ٨ : ٧٠ ٣) الجبرتى ١ : ٣٨٩

(طاحونة الزمن) المنشورة بعد . وهذا المسجد على كوم الطواحين ، وكان تحت نظر المؤرخ الشهير الشيخ عبد الرحمن الجبرتى لأنه قال في أثناء الحديث (وهو تحت نظر الفقير) .

احمد العيساوى : هو احمد بن عبدالله بن سلامة الادكاوى نزيل الاسكندرية وأمه شريفة من ذرية السيد عيسى بن نجم خفير بحر البرلس . كان حسن المحاضرة ولديه فضل ويحفظ كثيرا من الأشياء منها مقامات الحريري وغيرها من دواوين الشعر وناب عن القضاء فى الثغر مدة وكان يتردد إلى مصر أحياناً وجمع عدة دواوين شعرية من المتقدمين والمتأخرين نحو المائتين وطالع كثيراً منها مما لم يملكه ولم يزل على حالة مرضية حتى توفى بالثغر سنة ١١٩٣ هـ (١)

محمد العيساوى . وهو من ذرية السيد عيسى بن نجم بالبرلس . ارتحل مع اقاربه إلى إدكو ونشأ بها وقرأ القرآن وتفقه في الدين على الطريقة الدسوقية وبنى مسجداً فى شمال مسجد الجبرتي فلما طغت عليه الرمال تهدم ولم يبق منه إلا البئر المسمى (بئر عيده) فبنى مسجداً آخر جنوبه في شمال مسجد الجبرتى بمسافة ثلاثين متراً ، وكانت له منارة عظيمة هدمها الانجليز زمن الاحتلال . ومقبرته كانت بهذا المسجد ، وقد اندثر كله ولم يبق منه إلا المقبرة التى تراها على شكل قبة في صورة (طاحونة الزمن) ومن المعروف أن بئر هذا المسجد كان فى الشمال الغربى من المقبرة بمقدار عشرة أمتار .

١) الجبرتى ٢ : أخبار سنة ١١٩٣هـ

تاج الدين الذاكر : كان رضى الله عنه وجهه يضيء من نور قلبه ذا سمت وتجمل بالأخلاق الجميلة تكاد كل شعرة منه تنطق وتقول هـذا ولى الله وكان رضى الله عنه يفرش فى زاويته اللبـاد الأسود ليلا يسمع وقـع أقدامهم إذا مشوا ويقول حضرة الفقـراء من حضرة الحق لا ينبغى أن يكون فيها علو صوت ولا حس قوى وكان أصحابه في غاية الجمال والكمال وكان له التلامذة الكثيرة والاعتقاد التام فى قلوب الخاص والعام وتوفى سنـة ٩٢٥ ودفن بالزاوية المنسوبة إليه بجـوار حمام الدور خارج باب زويلة [١]

ننقل هذا عن الشيخ الشعراني في طبقاته المسماة (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار) وهى مخطوطة عسير جداً تفسير خطوطها . ويرى القارىء من عبارته أن ليس ثمـة أى صلة بين تاج الدين الذاكر وإدكو إذ لم يذكر شيئاً عن مولده ونشأته . وإنما يرجـع السبب لذكره هنـا إلى أن بعضهم يقول إن (مسجد تاج الدين) هو تاج الدين الذاكر . ولذلك أثبتنا ماجاء عن تاج الدين الذاكر ونترك الحكم والتحقيق للتاريخ

﴿ المساجد والقبـاب ﴾

وبادكو مساجد وقباب كثيرة لأولياء الله الصالحين نذكرهم كما يسميهم الأهـالى وليس لنا أى تعليق أن لم يصلنا عنهم شىء ، وعلى علمـاء إدكو المعاصرين تقع التبعية لجهلهم بهؤلاء الأولياء جهلا لا يليق بهم ولا يميزهم فى ذلك عن سائر الطغمة الدهمـاء .

(١) طبقات الشعرانى .

المساجد : الشلبي . الحصاني . داود . العراقية . شافع (تهدم) .
القباب : عبدالرزاق . منصور . أبومنديله . العجمى . خلف(أو خليفه)
الكوتي . العراقية الصغيرة (قبتان). العراقية الكبرى (قبتان). الشلبي
عطاالله السنهوري . شافع . محمد عبيد . على نمير . احمد نمير . .
والخلاصة أن إدكو تغيرت تغيراً كليا منذ الاسلام ، فصبغت
بالصبغة الدينية المحضة وظلت دول الاسلام تتداولها فيها ماكانت تترك
بها أثرا للاحقتها وهذهلما بعدها وهكذا . . .
على أننا نرى أن هذه المقابر العتيقة والمساجدوالعلماء كلها تدلنا على
ذلك كما أن بعض الأسماء يدل على حظ إدكو من تاريخ تلك الدول
فمثلا : توجد بادكو عائلة طيلون وهي محرفة عن (طولون) ويرجع ذلك
إلى الدولة الطولونية . ويوجد بئر (السنجق) وسبق أن ذكرنا أن هذه
الكلمة ترجع إلى أيام الاتراك المماليك حيث قسموا مصر إلى (سناجق)
(مديريات) مما يدل على نصيب إدكو من عهد المماليك .
ولما لم يكتب شيء عن تاريخ الاتراك المماليك في إدكو لهذا نترك هذه
الفترة جوفاء ونتخطاها إلى زمن المصلح الكبير محمد على .

﴿ ثالثا : إدكو في عصر محمد على ﴾

فترة الفرنسيين : لما قسم المماليك مصر إلى أقاليم فيما بينهم واستبدوا
بالحكم فيها ، وكان ما كان من مجيء الحملة الفرنسية على مصر ، وصل
نابليون بحملته إلي الاسكندرية فى أول يوليو سنة ١٧٩٨ ، ومن ثم

أرسل إلي رشيد حامية غرضها أولا احتلال مينائها ، وثانيا الحصول على المؤونة اللازمة لعساكر الفرنسيين . ونرى أن إدكو لم يكن فيها للفرنسيين أثر لأن حملة رشيد كانت غايتها (رشيد) ، وليس لديها متسع من الوقت حتى تعرج على إدكو وإن تكن قد مرت عليها مروراً فقط . وأظن هذا هو السبب الذي حدا بعضهم فذهب إلى أن ادكو لا وجود لها من المدنية .

﴿ عصر السفافرة ﴾

ويتلخص نصيب ادكو من زمن محمد على فى عصر السفافرة وبيان هذا أن شيخ ادكو المدعو محمد احمد سفار كان ذا ثروة .

وفى عهده احتدمت الخصومة بين عائلتى (قاسم) و (سفار) أدت الى قيام معركة دموية بينهما قتل فيها كثيرون منهم محمد احمد سفار المذكور

﴿ الى المشنقة . . . ﴾

وبلغ الخبر محمدعلى باشا فأمر (احمد احمد سفار) الذى خلف أخاه في شياخة ادكو وطلب منه أن يكتب اليه أسماء من قتلوا أخاه فكتب ما أملته نفسه الحانقة على قتلة أخيه عدداً من الخصوم سواء ارتكبوا القتل أم لا فجيء بهم إلى منشية الاسكندرية ، وأعدموا بالسيف ودفنوا حيث الزاوية المعروفة ب(زاوية الادكاوية) بحارة المغاربة بالاسكندرية وعددهم أحد عشر منهم سليمان جابر ، وصالح شويرب ، سليمان بلال (غنكش) والشيخ على مصباح الشيخ الذى طارت رأسه على أثر ضربها وهى تذكر اسم الله . أما شلبي قاسم فقد جوزى بتخليع أسنانه .

وفى ذات يوم مر محمد على باشا بحصانه على المعدية ـ وكان قد أعجبه موقعها ومناخها الجميل فأمر بحصرها ضمن أملاكه الخاصة وسميت (الأبعادية) ـ فاستراح هناك على الرمل الناعم الجميل ، ثم قام موليا وجهه شطر إدكو فوصلها ممسيا فرآه (أحمد أحمد سفار) المذكور فعرض عليه أن يتفضل بالنزول بمنزله ـ الكائن بجوار دكاكين على السد ويسكن فيه الآن محمود سفار ـ فنزل . ولما رأى منه مظاهر الأبهة والغنى أراد مكافأته فطلب إليه أن يتمنى فطلب أحمد أحمد سفار أمرين هما . معافاة أهالى إدكو من حراسة النيل ، وأن يكون له (نفاذ الكلمة) بادكو أى يكون الحاكم بأمره فيها،ودكتا تورها المسيطر فنصحه محمدعلى إلى خطورة نفاذ الكلمة وعرض عليه احتكار الصيد ببحيرة إدكو فأبى إلا ماطلب ، فلم ير محمد على باشا بدا من إجابته إلى كليهما .

وقد تسنى لنا الاطلاع على فرمان مختوم باسم (محمدعلى عبل) وماخص مافيه أن محمد على باشا مكّن الشيخ احمد سفار من مشيخة مشايخ (إتكو) وعلى الشيخ أحمدهذا القيام بشؤن العساكر والأغاوات والمباشرين الذين ينزلون بادكو . وأن على أهالى إدكو أن يقوموا بهذه التكاليف وعليهم أن يطيعوا الشيخ أحمد هذا وويل لهم إن خالفوا له أمراً . ومؤرخة هذه الوثيقة ٦ د سنة ٢٢٣ .

وقد تمتع بنفاذ كلمته ردحا من الزمن ، وبغى وطغى وضرب أطناب ظلمه

على إدكو ، ودخل جوره وعسفه بيت الصغير والكبير ، وتغالى فى عتوه وفجوره معتمداً على ثروته الطائلة ونفاذ كلمته وبلغ به الظلم أن نقل من شتى الحقول النخيل السمانى وغرسها فى حقل له جمع ألف نخلة من السمانى ولذلك سمى الحقل (الألفى) ، ولا شك أن مثل هذا العمل أدى إلى اضطراب نار الفتنة ونشوء الضغائن بين عائلات إدكو . وقد سخر الله ريحا صرصرا عاتية إلى (الألفى) فذهبت به فأصبح أعجاز نخل خاوية.

دار سفار : ولما مات أحمد أحمد سفار خلفه ابن أخيه فرحان محمد احمد سفار فأفضت إليه ثروة أبيه وعمه فبنى قصرا فخما من طابقين مساحته ثلاثون مترا فى مثلها وسمك جداره متر تقريبا وبداخله أبهى ماعهد من جمال البناء حيث بوسطه صحن به اعمدة رخامية مزخرفة وبه حمامات من بلور اشتغل فيه أكثر من ثلثمائة عامل وتم بناؤه فى شهر . ولا يزال هذا القصر متماسكا لا تزعزعه عواصف الأيام جمع بين الفخامة والعجب إذ عملت به عجيبة تمنع دخول الحشرات إليه وذلك أن صراف الحكومة فى عهد فرحان سفار بات فيه ليلة فشرد البعوض نومه فعمد إلى تعويذة منعت الحشرات من دخول دار سفار حتى اليوم . وقد تسنى لنا مشاهدة هذه الدار والدخول فى حجراتها فكان لها فى النفس إحساس غريب يتملك المشاعر ويثير الدهش . فقد طغت الرمال على رصيفها الشرقى وعلته بمقدار أربعة أمتار ، ويجوز لنا أن نسميه (قصر التيه الادكاوى) لكثرة حجراته المتداخلة التى يضل فيها المرء . ولا تزال هذه الدار قائمة في (الحارة الشرقية)

يسكنها ذرية فرحان سفار وهى مفخرة السفافرة ورمز مجدهم القديم .

العباسية : وقد بلغ التنافس بين عائلتى سفار وقاسم أن قامت هذه الأخيرة ببناء دار تضارع دار سفار ولكنها على الرغم من فخامتها لم تكن شيئا بالنسبة لها . وسميت دار قاسم هذه (العباسية)

ترعة سفار : وكان لدار سفار رصيف شرقى ذو درجات ، وقد يعجب المرء إذ نقول إن فرحان سفار هذا ساق ترعة من النيل وتنتهى بهذا الرصيف . وأنفق عليها من ماله الخاص . وتبتدىء هذه الترعة من فرع رشيد مارة بشمال الحماد ومنتهية الى رصيف قصر فرحان سفار وكانت السفن الشراعية تقلع على هذه الترعة معبأة بالغلال والحبوب وترسو على ذلك الرصيف وكان لفرحان هذا يخت يركبه ليتفقد أحواله التجارية .

ونقول ان آثار هذه الترعة لاتزال جهة الحماد الشرقى ومثبتة بخريطة المساحة رقم ٩٥/٥٥٥ سنة ١٩٣١ حيث كتب على خطين منقوطين مقطوعين « آثار جسر ترعة الاتكاوية » ولا يظن القارىء أن هذه الترعة هى المذكورة آنفا في تاريخ بحيرة ادكو وحسبه نظرة الى ماقيل عن (ترعة الاتكاوية) الأولى ليثبت أنها ليست (ترعة سفار) الحديثة المكتوبة على الخريطة (ترعة الاتكاوية) وقدانقطعت هذه الترعة حينما مد طريق السكة الحديدية .

الضرائب قديما

كانت ادكو تدفع الضرائب باهظة بلا مسوغ شرعى تدفعها صاغرة

مهددة بالسوط (الكرباج) ومن هذه الضرائب ما كان بالتقدير وما كان ظلما وغراما فاذا عجز أحد المحتكرين للحكومة فى مبلغ قسمت الحكومة هذا العجز على النواحى فيدفعونها صاغرين ، فضلا عن أعمال السخرة .

ومن الضرائب التى كانت تتحكم فيها الاهواء لدى تقديرها : الوركو ، عوائد الأغنام ، عوائد الملح ، عوائد البلح والبطيخ (الدخولية)، عوائد الدمغة (ختم الملابس)، عوائد حب الوطن ، عوائد الشخصية ، عوائد الاسهم ، عوائد المقابلة، عوائد الايلولة، وكثير غيرها أخبرنى عنها جدى.

ومن الضرائب التى كانت تفرض على الاهالى لسد عجز المحتكرين : —

كسرة سفار : ذلك أن فرحان سفار المذكور كان قد احتكر أراضى الحكومة من فزارة الى الجماد يزرعها أرزا ، وعجز (انكسر) عن دفع مبالغ الحكومة ففرضت الحكومة هذا العجز (الكسره) على الاهالى وجعلتها ضمن عوائد الأموال على المزارعين وأصحاب النخيل. وخصصت لها خانة في قسائم الأموال وظل الأهالى يدفعون ضرائب هذه الكسرة لمدة خمسين سنة ثم ألغيت زمن الاحتلال الانجليزى .

دَبْ سُوغلى : سوغلى هذا كان أحد الأغاوات احتكر (ملاحة خال الجنى) الواقعة على الشاطىء الأيمن لفرع رشيد عند مصبه . وكان يستخرج ملحها ويبيعه فعجز عن سداد أموال الحكومة فأضيفت المبالغ التى عجز عن دفعها إلى الأموال المقررة المحصلة من أهالى إدكو وأثبتت هكذا (دب سوغلى) . ومن أمثلة أعمال السخرة :

سد أبي قير : كان يسخر من كل عائلة فى إدكو شخص للعمل فى هذا السد

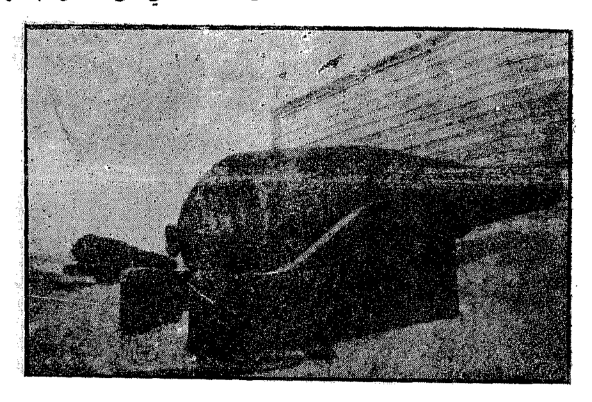
حنينة إدفينا : كان لاسماعيل باشا بساتين فى إدفينا ، وكان يسخر أربعة أشخاص من إدكو سنويا لتقليم أشجارها وتلقيح نخيلها وتعهدها وألغيت هذه السخرة زمن عباس باشا

ترعة أبى نشابه : وهى عند فم ترعة الخطاطبة وكان يسخر فى تطهيرها وحفرها عدد من أهالى إدكو كل عام .

ترعة الحماد : وهى في شرق بحيرة إدكو . وكان يسخر فيها الأدكاويون لتطهيرها كل عام .

﴿ الطوابى ﴾

ومما يدل على عمران إدكو زمن محمد على الطوابى التي على ساحل البحر



مدفع ضخم في طابية الشيخ

مزودة بالمدافع الضخمة الكثيرة مركبة علي عجل تدور أنىّ يراد بها وقد سخر فى بنائها عدد كبير من أهالى إدكو وأخبرني جاى علي حسن زيتون المتوفى سنة ١٩٢٨ عن مائة وعشرين عاما أنه كان جنديا بها .

وفى شمال إدكو تماما علي شاطىء البحر توجد طابية كبيرة تسمى (طابية الشيخ) سميت بذلك لقربها من مقام سيدى عبد الرزاق ولذلك كتبت فى بعض الخرائط (طابية الشيخ عبد الرزاق). وفى شرقها (طابية النوى) ثم (العلايم)التي عندها تنتهى حدود إدكو الشرقية. وفي غرب طابية الشيخ توجد (طابية الجزائر) ثم(طابية الكلخ) ثم(طابية اللبانى)ثم (طابية المعدية) وقدجار عليها ماء البحر وعرقل مدافعها وتطايرت أشلاء. وكان لهذه الطوابي شأنها في الدفاع عن الشواطىء المصرية .



مدفع فى طابية المعدية

﴿ حديث مع إدكاوى : عمــره ١٤٠ سنة ﴾

ونختتم هـذا الفصل بحديث مع إدكاوى اسمه (سالم محمد برمو) سألته عن عمره فقال : عمرى ١٣٧ سنة وأقسم لى ايمانا بذلك وأخبرنى بأنه كان يافعا لم يتجاوز العقد الثانى ومحمد على باشا حاكم مصر وقال إنه اشتغل في بناء الطوابى وهو فوق العشرين . وأخبرني بأن النخل الزغلول كان وقفا على محمد مدره شيخ مشايخ إدكو أى (منذ ٩٠ سنة تقريبا) وكان عدد النخيل الزغلول لا يتجاوز الخمسين. وحدثنى بأن أهالى إدكو فى سنة ما أعملوا مساحيهم في أنقاض (كوم الطواحين) لأن امرأة إدكاوية عثرت هناك على سبع دراهم من ذهب كتب عليها (لا إله إلا الله)

ومن الطريف أن الرجل كان اذ يتحدث الى يشرد فيحدثنى عن نوادر الحمير ويستطرد فيها وأحسست بارتياحه وهو يتحدث مبتسما متملكا كل قواه العقلية ونبرات صوته رنانة ، وسألته عن صحته فلم يشكُ الا من العمى ويتمنى لو يبصر فيواصل حياته ...



القسم الثاني

حاضر ادكو

قسمنا تاريخ ادكو الى ثلاثة عصور متميزة ثالثها من عصر محمد على الى اليوم ، وقد اعتبرنا هذه الحقبة حاضر ادكو ... واذ استشرفنا تقلبات الايام وتعرفنا دخائلها ، وجب علينا اقرار الحق ، واثبات الحكم .

نقول ان ادكو أخذت باسباب الرقى المطرد ، وان كان بطيئا ، وأفاق أهلها من اغفاءة أصابتهم على أثر حوادث الدهر فاستكانوا . وما ان طلعت عليهم شمس الاصلاح العلوى وهم في كهنهم حتى نفضوا عن عيونهم غشاوة الجهل الكثيف ، فتبينوا على البعد ماحولهم فرأوا عجبا ... نظروا الى الشرق فوجدوا حدائق (البوصيلى) فتهامسوا : أما كانت فيافى تعوي بها الذئاب !؟ وألقوا بنظرهم الى الغرب فراعتهم مدنية زاخرة ، فتساءلوا فى لهفة ، فعرفوا أن (المعمورة) قد صبت فى قالب من العمران بعد القفار ، ثم تلفتوا فكان البحر أمامهم والبحيرة من ورائهم ... فأخذتهم حسرة عميقة مالبثت حتى استحالت عزما وطموحا وجهادا في سبيل النهوض ... ولا زالت ادكو حتى اليوم تعانى فى تقدمها خطوة الى الأمام ماتعاني ، وسبب ذلك هو عين السبب فى معاناة الشيخ تعلم القراءة وقد فاته زمن الطفولة زمن التكوين والتكييف .

فأن زيادة السكان زيادة مضطردة ، وتمكن الجهل من العقول ، وتبلد

الذهن الجامد هى أهم أسباب لبث ادكو على حالها زمنا ...
وفيما عدا ذلك فان مرافق الحياة الجديدة بادكو تفرض على الأهل مجاراة البيئات المجاورة في تقدمها المادى والمعنوى معا ، ولا شك أن حامل لواء هذه النهضة لفيف من الشباب المستنير الناهض .

إدكو

كما ذكرها علي باشا مبارك

ادكو قرية كبيرة من مديرية البحيرة بقسم دمنهور وتارة تكون تابعة لمحافظة الاسكندرية أو محافظة رشيد أو تضاف الى مأمورية بلاد الأرز. وهى واقعة على الشاطىء الغربي لبحيرة ادكو قريبة من البحر المالح على نحو ألف وخمسمائه متر . ومنها الى رشيد نحو ساعتين والى الاسكندرية نحو ست ساعات ، وأبنيتها من الآجر والمونة وأكثر دورها على طبقتين وبها جامعان كبيران لكل منهما منارة وبها طاحون هواء ومعمل فسيخ ونخيل كثيرة نحو ٧٠ ألف نخلة و كروم عنب ويزرع بأرضها البطيخ وأصناف القثاء وفيها أنوال كثيرة لنسج مقاطع الحرير الاسكندراني والملاءات والبشاكير والمحازم . وقد بنى بها الشيخ الجبرتى مسجدا عظيما ووقف عليه عدة أماكن وقيعان وأنوال حياكة وبساتين ونخيلا كثيرة ، وكثير من أهلها يصطادون السمك من بحيرتها ومنهم من يتجر فى أصناف الفواكه والبلح فيذهبون الى الاسكندرية وغيرها ولا يزرع بها شيء من أصناف الحبوب بسبب استيلاء الرمال علي أرضها

وانما يشترون الحبوب من رشيد والاسكندرية وبلاد الأرز . وشربهم من حفائر يحفرونها في الرمل نحو مترين . ومن عوائد أهلها ألا تخرج النساء من البيوت الا ليلا متحفظات وألا يخرج الرجل كائنا من كان الا ومقطفه على عاتقه فاذا عاد استصحب معه في المقطف ولو حجرا . ومنها أنهم لايجعلون للقبور شواهد من البناء بل يزرعون فوق كل قبر صبارات في صورة مستديرة أو مربعة ، وقبورهم متجاورة فأذا ترعرعت الصبارات وتفتح نورها ترى القبور كأنها روضة أزهار . ولا يخرج إليها من النساء إلا المتجالات مع التحفظ التام بخلاف قبور غيرهم فلها فى الغالب شواهد من الحجر أو غيره وهي منشأ لجماعة من العلماء ففي الضوء اللامع للسخاوى أن منها الشيخ محمد بن سلامه بن صدقة الشمس الادكاوى الشافعى ويعرف بابن سلامه ومنها عبدالله بن سلامه الادكاوى الشهير بالمؤذن : » (١)

﴿ الناحية الطبيعية ﴾

الموقع : تقع إدكو الآن بين البحر الأبيض المتوسط شمالا وبحيرة ادكو جنوبا ، ورشيد شرقا والاسكندرية غربا . وتبعد عن الاسكندرية بمسافة ٤٥ كيلو مترا ، وعن رشيد ٢٥ كيلو مترا . وتقدر المسافة بين البحر والبحيرة عند ادكو بثلاثة كيلو مترات .

وتقع بلدة ادكو على شبه جزيرة من بحيرة ادكو

(١) التوفيقية ٨ : ٥٠

الحدود : تحد ادكو شمالا بالبحر الأبيض المتوسط وجنوبا بأقاصي البحيرة ويحدها شرقا خط ممتد في الرمال من طابية العلايم على البحر حتى أطراف البحيرة من الشرق . ويحدها غربا خط من شاطىء البحيرة الغربي ممتدا الى البحر مارا بالطابية الحمراء (الكوم الأحمر)

المساحة : حسب تقسيم وزارة المالية كما يلي :

الأطيان المربوطة بالأموال	ـ	٥٠٠٧	فدانا	و	١٠	قيراطا
الأطيان غير المربوطة	ـ	١٣٤٠	«	و	٣	«
أطيان الحكومة المصرية	ـ	١٢٣٠٩	«	و	١١	«
أطيان بحيرة إدكو	ـ	٣٨٠٢٥	«	و	٢١	«
جملة أطيان ادكو	ـ	٥٦٦٨٢	«	و	٢١	«

السطح : ادكو على العموم منخفضة عن منسوب سطح البحر ، ومنسوب الارض في غربها اعلى منه في شرقها . وسطحها رملي .

وتنمدر الرمال جنوبا وعلى الجانبين شرقا وغربا حيث الملاحتين الشرقية والغربية .

تبعيتها : كانت ادكو قبل الاسلام احدى قرى كورة النجوم ، أما في العصر الحديث فكان كما قال علي باشا مبارك « ادكو قرية كبيرة من مديرية البحيرة بقسم دمنهور وتارة تكون تابعة لمحافظة الاسكندرية أو محافظة رشيد أو تضاف إلى مأمورية بلاد الأرز

وهي اليوم أهم بلد في مركز رشيد من مديرية البحيرة .

الرمال

بحث جيولوجى

قسم علماء الجيولوجيا الرمل إلى ثلاثة أقسام .

١ ـ رمل خشن : قطره من ٥ ر٢ ملليمتر إلى ٧٥ ر ملليمتر
٢ ـ « متوسط: « « ٧٥ ر « « ١٠ ر «
٣ ـ « دقيق : « « ١٠ ر « « ٠٥ ر «

وقد اشتمل هذا التقسيم الثلاثى جميع أنواع الرمل بادكو غير أنها كلها من النوع المستدير لاحتكاك بعضها ببعض أثناء انتقالها بواسطة الرياح . أما لونها فعلى العموم أبيض يميل إلى الأصفر أكثر من ميله إلى الاحمر .

وبعض الرمال مكون من (الكوارتز) و (الميكا) و (الفلسبار) والبعض الآخر ولاسيما القريب من شاطىء البحر مكون من قطع صغيرة من المحارات ويستخدم هذا النوع فى البناء لخلوه من المادة الحديدية والاتربة.

وهناك نوع دقيق ناصع البياض يوجد غالبا في بطون التلال ولا سيما التى تلى ساحل البحر مباشرة . وقد يستعمل فى صناعة الزجاج إذا قدر لادكو نهوض فى صناعة الزجاج وما ذلك على الله بعزيز . وهناك نوع دقيق يحتوى على الحديد . وتتراكم هذه الرمال شمالا على هيئة كثبان هلالية الشكل أو مستطيلة وجنوبا تكون مجعدة السطح هابطة صاعدة .

ويحدث أحيانا فى فصل الصيف ظهر الأيام الشديدة الحرارة أعاصير

من هذه الرمال فتلاحظ صاعدة إلى السماء في شكل بركان رملى حيث يخف الضغط الجوى داخلها فيحملها الهواء معه إلى الطبقات العليا من الجو ثم تهبط بعد حين على الجانبين تدفعها الرياح . وقد شاهدتُ هذه الظاهرة الطبيعية لدى صعودى إلى مئذنة الجبرتى عقب صلاة الجمعة من يوم صائف اشتد حره .

ويرجع تكوين هذه الرمال في هذه الجهات إلي العصور الجيولوجية القديمة أى إلى ماقبل خمسة آلاف سنة حيث كانت جزءاً من البحر الأبيض المتوسط اغتنمها النيل منه .

المـاء الطبيعي : وقد حفر فى هذه الرمال كثير من الآبار من زمن بعيد وكانت ولا زالت تستخدم فى الشرب والرى . وماء هذه الآبار عذب خفيف على المعدة ولهذا يشرب الانسان منه وبعد قليل إليه يظمأ وهو مرشح ترشيحا طبيعيا فى طبقات الرمال المختلفة ولهذا يخرج نقيا صافيا لاشائبة فيه ولا كدر وكان هذا الماء يستعمل في لوازم المنزل من شرب وطهى وغسل حتى سنة ١٩٢٦

وقد يعجب المرء من عذوبة هذا الماء مع قربه من البحر والبحيرة وإحاطتهما بالرمال من جهات ثلاث . ويمكننا أن نعزو هذا إلى سريان عذوبة ماء النيل إلى الرمال التى اغتنمها من البحر وانحسر عنها .

وقد يعترض على هذا بأن بعض الجهات عذب ماؤها على حين نرى أقرب الجهات إليها ماؤها ملح . وردنا على الاعتراض يتلخص في أن

طبقات الأرض تحوى كثيرا من المواد السكرية موزعة توزيعا غير منتظم.

ومن المدهش تنبؤ الادكاوى بمكان الماء العذب بمجرد نظره إلى تضاريس المكان واتجاه الرياح . ولهذا تراه لا يكلف نفسه عناء التجربة فى دق مضخته مراراً للعثور على الماء العذب.

المناخ

تقع إدكو فى مناخ وإقليم البحر الابيض المتوسط ، ولذا نطبق مناخه على مناخ ادكو الا أن هناك عوامل محلية تجعل لادكو مناخا ممتازا

الحرارة : في الصيف حار جاف ويلطف من هذه الحرارة :

١ ـ نسيم البر والبحر .

٢ ـ القرب من البحر والبحيرة .

٣ ـ كثرة النخيل العالية .

وبالنهار يسخن الرمل فلا يستطيع الانسان المشى عليه حافيا ، أما بالليل فيهب النسيم العليل المسكر .

وفي الشتاء بارد ممطر ويخفف من البرودة :ـــ

١ـ مسامية الرمل الذى يشرب المطر فيحفظ سطح الأرض دافئا .

٢ ـ المساكن المنفردة المعرضة لأشعة الشمس طول النهار .

٣ ـ طبيعة موقعها الذى جعلها في مناخ شبه جزرى .

وعلى العموم فامتلاكها شاطئي البحر والبحيرة هو الذى جعل لها هذا المناخ الجميل

الرياح : يغلب نسيم البحر على مناخ ادكو ، وتهب الرياح الغربية الآتية من الصحراء الكبرى أيام الخماسين (أبريل ومايو) فتثير الغبار الذى يسبب الرمد وبعض الحميات .

وتهب أحيانا فى الصيف والخريف رياح شرقية شديدة نوعا فتجلب البعوض الذي يحرم السكان نومهم ، وأخرى تهب جنوبية غير شديدة فتجلب البعوض أيضا وياويل الادكاويين من بعوض هـذه الرياح فانه يصل إليهم فى منازلهم بل فى حقولهم النائية فتشرد نومهم وتسبب حمى الملاريا . على أن هبوب هذه الرياح لا يزيد عن ثلاث ليال في الغالب .

وفوق هذا فالرياح السائدة طول العام هى الشمالية والشمالية الشرقية . وللرياح دور كبير فى حياة الادكاوى لأنها تسير قاربه ويتنبأ بها في زراعته.

الأمطار : تسقط الأمطار شتاء ويستبشر بها الادكاوى ومهما غزرت الأمطار فباطن الأرض رحب الصدر ذو مسام ينفذ منها الماء ، فلا يكاد يكف المطر حتى يكون سطح الأرض جميلا كأنه رش بالماء فلاوحل إلا فى جهة السوق حيث التربة السوداء التى لا تخلو من الطين .

وأغلب الادكاويين لا يهمهم السير بالأحذية شتاء ، وكانوا من زمن ليس ببعيد لا يتورعون من السير حفاة الاقدام صيفا وشتاء حلا وترحالا .

الرطوبة والجفاف : جو إدكو جاف على العموم والسماء صحو في أغلب أيام السنة إلا أنه يحدث البخر ضبابا كثيفا فى الصباح بالقرب من شاطىء البحيرة يتبدد سريعا بطلوع الشمس .

وبسبب هـذا المناخ الجميـل كانت إدكو مصيفـا يهرع إليه كثير من الاسكندريين وغيرهم وفي الشتاء من كل عام يعسكر جنود الانجليز شرقيها في كوم مياح ويقضون هناك أكثر من شهر، وقد تسنى لي مخاطبة جندى منهم وسألته عن سبب اختيارهم إدكو فأخبرنى أن مناخها الشتوى يشبه مناخ بلادهم ولذلك آثروا المشتى فيها على بلاد القطر .

وأحسن أوقات المصيف مابين يونيـو إلى آخـر أغسطس وفى يونيـه يهرع الادكاويون إلى حقولهم الرمليـة حول زراعة البطيخ ثم يستمرون في مصيفهم حتى يجنى البلح الذى ينتهى موعده فى أواخر اكتوبر .

وينام الادكاويون صيفا مفترشين الرمال النواعم البيض يتخذون منها مراقد ويلتحفون بملاءات خفيفة تحت القبة الزرقاء فينامون ويستيقظون وكأن لم يناموا لما يبتدرهم من نسيم مسكر يلعب بالجفون لعب الراح بالعقول ومن أمثالهم في ذلك « لاتدع ندى الورد يفوتك ولا طل بابه ينزل عليك » فان ندى الورد صحى منعش يسقط فى الفجـر من أوائل الصيف أما طل بابه فبارد لايحتمل لأنه يسقط فى أواخر الخريف.

ضواحى إدكو : وتعتبر حقول إدكو الرملية الممتدة في شمال البلدة شرقا وغربا ضواحى للاصطياف فهم يرحلون إليها في يونيه ويرجعون منهـا فى اكتوبر فلهم بذلك رحلتان رحلة الشتاء والصيف فالاولى من الحقل الى المنزل والثانية من المنزل الى الحقل. على أن أهم ضواحى ادكو وأجدرها

بالبحث والذكر :

(المعدية)

موقعها : على بعد ١٤ كيلو مترا غرب إدكو يحصرها البحر شمالا والبحيرة جنوبا وملتقى البحر بالبحيرة شرقا وتمتد منه إلى الغرب لمسافة كيلومتر واحد

تاريخها : يرجع تاريخ المعدية إلى مابعد إنشاء الخط الحديدى إلى رشيد بزمن قليل . وإذا تحرينا الدقة نقول إنها قبل سنة ١٩٠٠ كانت عبارة عن (كارة) أى اصطبل لدواب النقل ، ووكالة فيها يجهز محتكر الصيد فى البحيرة أسماكه ثم منزل صغير مبنى من الحجر لضابط طابية المعدية .

موقعها سبب اسمها : ولما كانت وسائل النقل قبل الخط الحديدى بين رشيد والاسكندرية على ظهور الدواب ، لهذا قسمت المسافة إلى محطات مصطلح عليها عرفا ، ومن أهم هذه المحطات بوغازفم بحيرة إدكو ، وكما قلنا كان اصطبل للدواب على شاطئه الغربى أما الدواب الآتية من الشرق فتضع أحمالها هناك وتستريح ومن ثم تنقل بالقوارب إلى الشاطىء الآخر فتتسلمها الدواب الأخرى وتمضى بها إلى الاسكندرية .

فهذه (التعدية) لها أثرها فى هذه الرحلة ولهذا اصطلح التجار على أن يسموا الجهة التى يعبرون إليها (المعدية)

ويلاحظ أن المسافة بين البحر والبحيرة هناك أضيق منها عما قبل فان شاطىء البحر كان يبعد عن طابية المعدية بمسافة تزيد على مائتى متر ، أما الآن فقد غالت أمواج البحر المتلاطمة مدافع الطابية فنكستها

وأعملت فيها سلاحها ، ولولا أن الطابية مبنية على ذروة من الرمل تمنع أبنيتها تناثرها لتخطاها البحر واتصل بالبحيرة .

مناخها : المعدية شبه جزيرة تحوطها المياه إلا من الغرب ، فمناخها إذن جزرى ، وهى أدفأ من إدكو شتاء وألطف منها صيفاً ويكثر الضباب بها وأمطارها شتوية قليلة .

مصيف المعدية : وللمعدية الفضل الأكبر على إدكو في العصر الحديث ، فإن المغفور له محمد على باشا لما مر بها وشغفه جمال مناخها وموقعها أمر بضمها إلى خاصته وسبق أن ذكرنا رحلته إلى إدكو وما ترتب عليها .

وقد اتخذها سمو الأمير محمد على حسن مصيفاً ومشتى على تل مرتفع في غربى المعدية أى شمال نقطة تقاطع الطريقين الزراعى والحديدى .

وكان لسموه الفضل فى تخليد ذكر المعدية بين المصائف المصرية أدى إلى تهافت عظماء مصر إليها في الصيف . وللمعدية مستقبل في الاصطياف محقق سيؤدى إلى إعراض المصطافين عن لجب الاسكندرية وتهافتهم على المعدية طلباً للراحة والهدوء والتماساً للجمال الطبيعي الحبيب

السكان : لا يزيدون عن ألفى نسمة ، وكلهم من أصل إدكاوى وعائلاتها أفرع من عائلات إدكو وعلى اتصال دائم بهم .

وكان بالمعدية ولا يزال أعراب ذوو ذوائب ينقلون عليها المتاجر وهم مهرة فى تهريب الحشيش وشركاه يتسلمونها من مراكب فى البحر ويدفنونها فى الرمال ومن ثم يتجرون فيها مع بلاد القطر .

ولهذا كان هؤلاء الاعراب سببا في اتهام أهالى إدكو والمعدية بالتهريب فتقرر تفتيش جميع السيارات عند كوبري المعدية ، وبتشديد الرقابة وسهر رجال السواحل قلت حوادث التهريب عن ذى قبل .

صفاتهم : على الرغم من وثيق العلاقة في القربى بين أهل المعدية وادكو فان سكان المعدية يختلفون عنا في أمور جديرة بالذكر :

فلما كانت طبيعة المعدية أبخل من طبيعة ادكو وجب أن يكون سكان المعدية أنشط من الادكاويين وأبعد نظرا لتقرير مصائرهم .

وتبعا لهذا النشاط المستمر والدأب فى الحصول على العيش كانوا أقوياء البنية أشداء ، وساعدهم على ذلك اختلافهم بين البحر والبحيرة ، وليس يخاف ماللبيئة البحرية من أثر فى قوة عضلات الرجل وسلامة جسمه من العلل

وطبيعة المعدية مكشوفة وان لكفهم بيض الوجوه تشوبها حمرة العافية ، اكتسبوا جمالهم الطبيعي من جمال الطبيعة . وهم هادئون لا يعكر صفوهم معكر ، وكلهم في الواقع يكونون أسرة واحدة ويكاد يكون مستحيلا أن نسمع بشجار يقع بينهم .

موارد الرزق : طبيعية ومحدودة لا ابتكار فيها وهي :

١ ـ الصيد : الأسماك من البحر والبحيرة . وأسماك المعدية أفخم من أسماك إدكو وإن لم تفقها كثرة وأنواعا . والتقاء البحر بالبحيرة عندها هو السبب فى زيادة نمو السمك النيلي والبحرى . وفى الصيف يتهافت غواة الصيد من الاسكندرية وغيرها على كوبرى المعدية يصيدون بالشص

الاسماك الكبيرة . ويصدر أهل المعدية هذه الاسماك توا إلى الاسكندرية وقد يستخرجون (البطارخ) منها ويملحونه ويصدرونه فيباع فى الاسواق باسم (البطارخ البلدى) ولا تقل ثمن أقته عن مائة وهم بذلك لا يضنون على قرش ء أنفسهم بالتغذية الجيدة .

ويصيدون كذلك الطيور الصيفية بالشباك كالسمانى والعصافير

١ ـ الزراعة : أقل أهمية من الصيد بكثير وتنحصر فى غرس فسائل النخيل فى الرمال وانتظار ثمارها فى موسمها السنوي ويزرعون الطماطم والبطيخ

٣ ـ التجارة : موقع المعدية تجارى قديم كما ذكرنا حيث كانت تنقل اليها المتاجر بين رشيد والاسكندرية فكان أهل المعدية يقومون بنقل هذه المتاجر بين شاطئى البوغاز .

ولذلك كانوا يتجرون فى دواب النقل وأهمها الجمال والحمير . وتصدر المعدية حاصلاتها البحرية والزراعية على اختلافها الى الاسكندرية ولها مع إدكو تجارة واسعة في اللوازم المنزلية وغيرها .

٤ ـ الاصطياف : فى أيام الصيف يؤجر بعض أهالى المعدية منازلهم للمصطافين أو يبنون لهم أكواخا من الجريد. ولهم من وراء ذلك نفع عظيم. علاقتهم بادكو : المعدية جزء من ادكو لا يتجزأ ولا يمكن يوما أن يتجزأ لما للعلاقة الاجتماعية المحكمة بينهما. فأهل المعدية أصلهم ادكاوى وأهلوهم وذووهم فى ادكو فتراهم مضطرين من حين لآخر الى التردد اليها

زيارتهم . كما أن المعدية داخلة في حكم إدكو . فعمدة إدكو يحكم أيضا المعدية ونائبه فيها شيخ بلد ، ويُرسل إليها رجال الشرطة والامن من إدكو وضابط خفر السواحل بادكو هو رئيس طابية المعدية ويرسل من قبله العساكر لتفتيش السيارات عند كوبري المعدية.

والمنافع المشتركة أدبيا وماديا من أهم مايوثق العلاقة بين البلدين فهم يشتركون معا فى الافراح والأتراح . ويدفن أهل المعدية موتاهم بمدافن إدكو .

ويرسلون أبناءهم للتعليم بمدرسة إدكو الابتدائية .

كلمة باقية عن المعدية : للمعدية محطة جميلة ، وبها مدرسة أولية للبنين إدارة مصلحة السكة الحديد بها أكثر من مائة تلميذ وتلميذة ومساكنها من الطوب الأحمر (من رشيد) يبنيها البناؤون الادكاويون ، يهتمون بتنسيقها وجمالها ويغرسون أمامها النخيل والكروم . ويشربون من عيون يحفرونها فى الرمال أومن المضخات ، ولما وصلت مياه الشرب المرشحة إلى إدكو فيرسل إلى المعدية يوميا صهريج ماء بالسكة الحديدية وتباع التنفيحتان بمليم . وبالمعدية محلات تجارية جامعة لما يلزم الضاحية ، وبها حلقات أسماك ومحلات لتمليحها واستخراج بطارخها .

مستقبل المعدية : ويخشى على المعدية من أمواج البحر العاتية عند اشتداد عواصف الشتاء وكذلك من مياه البوغاز زمن الفيضان حيث تفيض المياه على الجانبين فتصل إلى قريب من المنازل ، ولا يؤمن البحر على المعدية

كأمانة إلا إذا اتخذت التدابير وعملت الاستحكامات لصد هجماته الشمالية والشرقية

وتقول فيما عدا ذلك إن للمدينة مستقبلا سيحققه موقعها وجمال طبيعتها، فيولى المصطافون وجوههم شطرها، وسيهاجر إليها كثير من الادكاويين حين تضيق بهم ادكو على رحبها . . . وليس هذا ببعيد . .

الناحية الاجتماعية

تلك هى أبرز نواحى الحياة ذكرا وأحفلها تحليلا ليستطيع القارىء أن يستشرف هذه البيئة المنزوية على البعد .

﴿ السكان ﴾

تعدادهم : يؤخذ من الاحصاءات ما يأتى مقربا الى أقرب ألف

سنة	١٩٠٧	تعداد ادكو	٦	آلاف نسمة
«	١٩١٧	« «	١٣	ألف «
«	١٩٢٧	« «	١٧	« «
«	١٩٣٦	« «	٢٥	« (تقريبا)

وفيما يلى بيان بمواليد سنة ١٩٣٥ مستخرجا من الدفتر الرسمى :

الشهر	ذكور	اناث	الشهر	ذكور	اناث
يناير	٥٤	٦٢	يوليه	٤٢	٤٥
فبراير	٤١	٤٨	أغسطس	٣٧	٣٢

الشهر	ذكور	اناث	الشهر	ذكور	اناث
مارس	٥٠	٤٨	سبتمبر	٢٨	٣٢
ابريل	٦٢	٦٨	أكتوبر	٢٧	٢٤
مايو	٥٠	٣٦	نوفمبر	٣١	٢٢
يونيه	٢٩	٣٠	ديسمبر	٥١	٥٣

وعلى هذا يكون مواليد عام ١٩٣٥ — ألف نسمة .

ويتضح من الجدول الآتي لمواليد النصف الاول من عام ١٩٣٦ كيف أن عدد السكان فى زيادة مضطردة :

الشهر	ذكور	اناث	الشهر	ذكور	اناث
يناير	٤٩	٥٠	ابريل	٦٩	٥٧
فبراير	٦٥	٦٣	مايو	٦٤	٦٢
مارس	٦٣	٥٧	يونيه	٣٦	٤٨

فتكون زيادة مواليد النصف الأول من سنة ١٩٣٦ عن مواليد سنة ١٩٣٥ ٦٨٣ نسمة . ولو فرضنا أن مواليد النصف الباقى من السنة كانوا ٨٠٠ لكان مواليد سنة ١٩٣٦ — ١٤٨٠ تقريبا .

فتأمل في هذا الفرق الشاسع بين السنتين وفكر فى أسباب هذه الزيادة تراها لا تعدو :-

١ – الزواج من أكثر من امرأة فى الغالب وفى سن مبكرة .

٢ – كثرة النسل تبعا لذلك ونتيجة لقوة بنية الرجل .

٣ ـ قلة الوفيات اذ هي في المتوسط أربعون نفسا في العام ويلاحظ أن عدد الذكور يتساوى مع عدد الاناث غالبا .

ولهذه الاسباب كانت زيادة السكان في مدة عشرين سنة من سنة ١٩٠٧ عشرين ألفا تقريبا . . . . . . أكثر الله وبارك .

المقابر : كانت مقابر ادكو قبل عشرين عاما متسعة اتساعا عظيما فكانت تمتد من جنوب مسجد سيدى ابراهيم بن عمر مباشرة حتى شاطىء البحيرة . ومن الملاحة الشرقية الى الملاحة الغربية في مساحة ٢٥ فدانا ، وكما ذكر على باشا مبارك لم تكن تبني وانما كانت تغرس الصبارات في هيئة مستديرة أو مربعة . أما الآن فقد تزاحمت على أطرافها المساكن حتى انكمشت مساحتها فأصبح حدها الشمالى مقام سيدى شافع والجنوبي منازل في ازاء مكتب خفر السواحل وغربا نخيل عبد النبي وشرقا شارع نقطة البوليس وذلك في مساحة عشرين فدانا . ويندر بناء المقابر وأغلبها فوقها صبارات تزدهر في الربيع .

﴿ العائلات ﴾

بادكو أكثر من ١٥٠ عائلة بعضها استوطن ادكو من زمن العرب والآخر هاجر اليها من البلاد المجاورة ، وانا لذاكرون أسماء العائلات وآثرنا تقديم العائلات الخمس الأولى مرتبة حسب كثرة أفرادها .

١ ـ بلال ٢ ـ زيتون ٣ ـ توتو ٤ ـ قاسم ٥ ـ خرابة . عبد النبي . عشره . ضبيح . طيلون . حرحش . الشيخ . سفار .

أبو جهل . ماضى. الريوى . عروس. البنا . الحلوانى. العجمى. حبيبه .
اللبانى . الديبانى . سنهورى . الوزان . مكى . شميس . ترمُو . عسل.
غانم . الزعيم. خميس . عيساوى . حُويرة . جويده . قاقا . كَكونه .
شيشى . شكير . الحــلوه . عانوس . السد . وهيب . حلقها . قطيط .
الاقداحى . محارم . هجرس . أبو بكر . الشخابت . فلّاح . الجداوى .
مَنْ . الزيات . هلال . الشريف . عبد الجواد . أبوسعده . غبارى .
أبو السعيد . الجمال . عبد القوى . حباله . خنيفر . حراز . حسون .
الرجال . الدمياطى . دسوقى . عوينات . محيمر . قشيوط . النقيب .
نمير . كوزو . شرابى . عيد ريشه . زعرب . خليل . زنطح . رمضان .
نور . أبوسته . العقبى . سُمرُط . عرفه . بحيرى . الاشرم . كمّون .
أبو دقة . بصله . طقيشم . شقيدف . عباسى . أبو حلو . شموير .
رفاعى . منصور . رميلى . خفاجى . سنبل . برطوع . طاجن . طه .
السمنى . المقمر . زراره . بربيط . حمام . صالح . زعويط . مدره .
غطاس . المرى . فرج . شيمون . عويضه . المدخوم . السقيلى . بركه .
عبده . جمبوب . سميرى . محلاوى . سعدالله . شويرب . كمبارى .
الدالى . مهدي . بدر . زريق . القلفاط . عكر . الرشيدى .
تنيُور . مرعى . مُونس . القسطاوى . ورشانه . سحلول .
الغيطى . الغول . زين الدين . حبلص . الباسطي . العبد . الغفير .

ومن المحقق أن هذه العائلات تهافتت على سكنى إدكو من

شتى الأقطار بعد الفتح الاسلامى. فعائلة زيتون من أصل مغربى. والشريف ومكى وعوينات وغيرهـا من أصل عربى. والصقيلى كما تدل بشرة وجوههم من أصل إيطالى من جزيرة (صقلية).

وبعض العائلات نزح من بلدان القطر إلى إدكو مثل: شكير والحلوه وسنبل وغيرها من الاسكندرية، والرشيدى من رشيد، والدمياطى من دمياط والعيساوى من البرلس.

وفى بلدان القطر كثير من الادكاويين ضربوا في البلاد سعيا وراء الرزق ومع هذا فهم كثيرو الحنين إلى مسقط رأسهم إدكو.

ويلاحظ أن اختلاف الأنساب على هذا النحو سبب امتزاج إدكو بشتى البيئات وجعلها ذات صبغة خاصة بها. وقد تتفرع العائلة الواحدة لكثرة أفرادها وأسراتها كما فى زيتون وقاسم وبلال وتوتو . . .

ويجدر بنا أن نذكر أن العائلة مهما كثرت أفرادها وطال عهدها بأصلها فلا بدلها من الانتساب إليه على عكس المشاهد فى غير إدكو من قطع الأسماء عن لقب العائلة والاكتفاء بالاسم والوالد والجد في الغالب

وتربط لحمة القرابة أفرادالعائلة رباطا وثيقا هوأقرب إلى تبادل المنفعة منه إلى التعصب أوالتحزب القبلى الذى كان شارة أمس القريب وعلة التقدم المرجو.

ولو فرضنا أسماء هذه العائلات ـ مع كثرتها وتباينها ـ أفرادا لعائلة واحدة لكانت هـذه العائلة هى (إدكو)، التى تشملهم حين البأس وتنتظمهم جميعا فى المنفعة

فهم فى الآمال والآلام عـلى قدم المساواة ، نصيبهم من الآمال نصيب جذور الشجرة من الرىّ ، ومن الآلام كسائر الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى

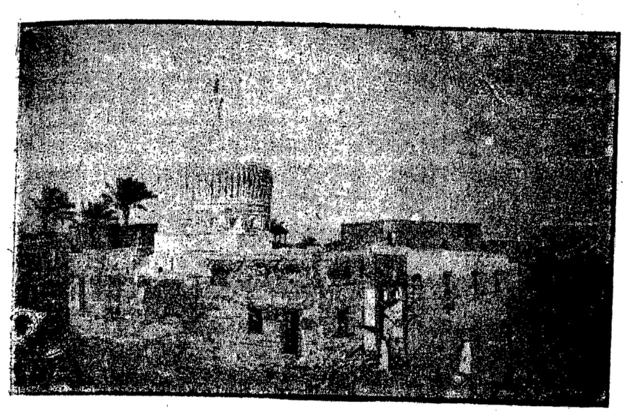
وصف الجسم

الادكاوى متوسط الطول ليس بالطويل ولا بالقصير، عريض المنكبين ، قوى العضلات مفتولها ، ممتلىء الجسم، شعره أسود مجعد قليلا ، ووجهه عريض سمح موفور قمحي اللون وضّـاح الجبين، كثيف الحاجبين، واسع العينين ، حاد البصر والسمع ، ممتلىء الصدغين ، مفتول الشاربين ، كث اللحية لا يهتم بحلقها ، قصير العنق ، قصـير الذراعين ، ذو كفين غليظين ، عريض الصدر بارزه ، قدماه ثابتتان، متئد الخطو متثاقله ، يتمتع بصحة جيدة ، مرهف الحس ، جهورى الصوت هادئه .

الدين

كلهم مسلمون بلا استثناء ، وهم متمسكون بشعائر دينهم تمسكا جعلهم مفخرة الاسلام ، وحصنا من حصون السلام .

المساجد : ومساجد إدكو كثيرة متناثرة وواسعة معتني ببنائها وتنسيقها ونظافتهـا ، وبها حنفيات بالماء العذب بعد أن كانت قبل من الماء الطبيعي، وعدد المساجد ثمانية وهى الشلبى ، تاج الدين، الحصانى، الجبرتى ، داود ، العراقيــة ، زيتون ، سيدى ابراهيم بن عمر (تهدم) ، شافع (زال) .



مسجد الشابي

وليس لهذه المساجد أوقاف إلا داود وسيدى ابراهيم ، أما المساجد الأخرى فأوقافها أهلية لا موظفين لها .

والمساجد التى لها مآذن هى : الحصانى ، الجبرتى ، داود ، سيدى ابراهيم ، على أن أعالى هذه المآذن مئذنة الجبرتى لكونها على كوم الطواحين ، وكان في شمالها مئذنة لمسجد الميساوى ولكنها تهدمت .

والواقع أن هذه المساجد لم تعد تكفى جميع السكان ولاسيما في الناحية الجنوبية من البلد إذ ليس بها إلا مسجد زيتون .

القرآن الكريم : وللقرآن الكريم المنزلة الاولى من احترامهم للدين ، ومن أجله كانت الكتاتيب ، وقد خرجت جما غفيرا من حفظته ومجوديه ،

وقد اشتهر مقرئوهم بصوتهم الرنان ويكثر طلبهم في الحفلات لاحيائها .
ولهذه الميزة كان يعفى أكثر الشبان من القرعة العسكرية . وقلما تجد
إدكاويا لا يحفظ القرآن تلاوة وترتيلا . ومن شغف الأهالي بالقرآن
تراهم يرتلونه إذهم يقومون بأعمالهم كصناع النسيج فلا تكاد تمر بمصنع
حتى تنبعث منه آي الذكر الحكيم وتفتتح به عادة الحفلات على اختلافها.
جمعية تحفيظ القرآن : أنشئت فى سنة ١٣٥٤هـ (سنة ١٩٣٥م) وافتتحت
في ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٣٦ وقامت على أيدى الشباب الناهض وهمة
الشيوخ وتبرعات الخيرين .
الطرق الصوفية : كثيرة منها . الطريقة الخلوتية . والرفاعية . والشاذلية
ولكل طريقة مريدوها الذين يحيون الليالى بذكر الله بالمساجد والمنازل
والحقول . وينشد المنشدون الادكاويون أناشيدهم الحبيبة إلى القلوب
بنبراتهم المؤثرة وأكثر هؤلاء من الشباب .
علماء الدين : ذكرنا عند الكلام على الفتح الاسلامى ماوصلنا عن
علماء إدكو قديما ومنهم : الشيخ ابن سلامه الادكاوى ، والشيخ
ابراهيم بن عمر وغيرهما. أما علماء إدكو فى الحاضر فكثيرون منهم :
المرحوم الشيخ ابراهيم خليل عشرة المتوفي فى سنة ١٣٠٠هـ ودفن بمسجد
داود بادكو . تتلمذ على يديه المرحوم الشيخ على سفار المتوفى سنة ١٣٥٤
(سنة ١٩٣٥م) وكان رحمه الله نقى القلب طاهرا بحرا في العلم لايملك
عينيه إذا أخذته الحسرة على خطايا قومه وكان إمام مسجد داود .

والمرحوم الشيخ مصطفى خليل المتوفى سنة ١٩٢٨ وكان مأذون الشرع.
ومنهم المرحوم الحاج محمد عبد القوى المتوفي سنة ١٩٢٦، وولده المغفور له الشيخ أمين عبد القوى المتوفي سنة ١٩٣٢ م

ومنهم المرحوم الشيخ اسماعيل زيتون صاحب الكتاب وتوفى سنة ١٩٣٤ أما البقية الباقيه من علماء إدكو المعاصرين فهم :
الشيخ عبد اللطيف ابراهيم غانم . وهو الآن كاتب بالمحاكم الشرعية
والشيخ محمد عطا غانم مدرس بمدرسة إدكو الأولية للبنين ومأذون الشرع بادكو والشيخ عبد القادر زيتون كاتب بالمحاكم الشرعية .
الشيخ على طلحه السمني كاتب بمعهد الزقازيق الدينى . والشيخ محمد أبو الفتوح احمد غانم مدرس بمدرسة إدكو الأولية .
الشيخ عبد الحليم قطيط المحامي الشرعي والواعظ الدينى .
الشيخ على الصقيلى الواعظ بمركز كفر الدوار

وغير هؤلاء كثيرون لم يواصلوا دراساتهم فى الأزهر ولم يمنعهم ذلك من إدامة الاطلاع والبحث . وطلاب العلم الدينى من الادكاويين كثيرون لهم منزلتهم من مواطنيهم .

اللهجة

تختلف لهجة الادكاويين عن لهجات البلاد المجاورة اختلافاً بيناً ، بل ليس لها بين شتى لهجات القطر مثيل، فبينما ينطق الرشيديون والاسكندريون والدمنهوريون (الجيم) كحرف (الجاف) ينطقها الادكاويون (جيما

معطشة) . وإذ ينطق أولئك (القاف) كحرف (الآف) ينطقها الادكاويون كحرف (الجاف) ونطقهم (الجيم) و (والقاف) على هذا النحو من أهم ماتتميز به اللهجة الادكاوية .

ويلاحظ أن الاسكندريين يشبعون الكلمة نطقا فيظهرون أواخرها بوضوح ، بينما الرشيديون يخطفون الكلمة خطفا هوأقرب إلى الوقوف على همزة منه إلى إبراز آخر مقطع في الكلمة . أما الادكاويون فكان وقفهم بين ذلك وسطا ، فهم يقفون على الكلمة حيث يخف اللسان على نطق آخرها ، ومع ذلك فالكلمة واضحة فى أذن السامع فلا أثر للوقوف الهمزى الرشيدى ، وكان أجدادنا ينطقون القاف العربية كما هى

ونرى من هذا أن اللهجة الادكاوية سليلة العربية الفصحى ويرجع تاريخها فى إدكو إلى الفتح الاسلامى واستقرار الامراء بها قبل وصولهم إلى رشيد . ثم إن اختلاط الادكاويين بأعراب الصحارى المجاورة أدى إلى مجاراتهم فيما ينطقون، ولذلك ترى الادكاوى إذا قابل عربيا استرسل معه في النطق العربي كما لو كان مثله عربيا تنشأ فى خيامه .

وجدير بالذكر أن اللهجة الادكاوية باختلاطها الآن بشتى اللهجات أدخل عليها كثير من التحسينات وهي آخذة فى التحسن والتهذيب .

والادكاوى فصيح النطق ، جهورى النبرات ، متزن العبارات ، متئد الكلام . متسلسل الاسلوب . يلمح من ثناياه ذكاء فطرى . تتحدث إليه فيروقك عذب حديثه . وبارع تهكمه . وحاضر نكتته . وتجذبك

ابتسامته الصافية . وإشراقة محياه ، فحديثه طريف غير مملول لما يتخلله من كنايات وأمثال وقصص قصيرة لها أوثق الروابط بحياته . وقد يتمثل بآية من الذكر الحكيم أو بحديث شريف أو طرفة أدبية . أو حكمة يتلوها . أو بيت من الشعر .

التفكير

الذهن الادكاوى صافٍ صفاء الطبيعة . هادىء مثلها . : ولذلك تميز بالتأمل العميق . وإعمال الفكر . والادكاوى بعيد النظر . حر التفكير . قوى الذاكرة . حاضر البديهة . متزن العقل . ناضج الفكرة سديدها . ذكى لبق . وهو ذو استعداد للتثقيف بما أوتي من مواهب .

والزارع والصياد يتفقان فى ناحية من التفكير هى حالة الجو . فالأول يترقب المطر الشتوى . والآخر يترقب اتجاه الرياح التى تسير قاربه . وقلما يخيب حدسهما فى تنبؤهما وحسبهما نظرة إلى الأفق ليتبينا ماسيحدث ومن ثم يأخذان الأهبة . والادكاويون ذوو خبرة بعلم الفلك، يعرفون أسماء الكواكب والنجوم ومواقيتها وأثر ذلك عمليا ونظريا، ويستعينون بهذه النجوم على تحديد أوقاتهم ليلا أونهاراً. والتاجر كذلك بعيد النظر حريص على حضور الأسواق مبكراً لبيع سلعه وشراء بضائعه .

ذكاء الادكاويين

ويرجع السر فى ذكاء الادكاويين أولا إلى الطبيعة فهدوءها يمد الذهن إذ صفا لتلقى مباهجها واستجلاء مفاتنها كما تتلقى آلة التصوير مايقع

في مجالها . فالنسيم عليل ، والبحر صاخب أحياناً وأحياناً رهو .
والبحيرة على المدى ناعسة ، والزورق الراقص طروب أسكرته الصّبا
فتهادى، وللأطيار توقيعاتها السحرية فوق النخيل المزدانة بخضرتها ....

هذا الجمال الطبيعي يتعهد الذهن بآيات باهرات ماتلبث حتى تكوّن فيه ملكة الجمال وتلقنه بدائع الحسن ـ فالفكرة إذن جميلة لأنها منبعثة عن جمال . وهل جمال الفكرة إلا الذكاء ؟

كما أن للفسفور الذى يحتويه السمك السر الخفى فى توقد الذهن الادكاوى. فالأسماك كثيرة وهى لهذا أهم الاغذية الادكاوية ، ومن المحقق ما فى الأسماك من تعدد المواد الغذائية التى أهمها الفسفور الذى يغذى المخ .

وإذ كان الفسفور أهم عناصر الكبريت فهو المسبب للاشتعال أو الاتقاد . ومن هذا قالوا : فلان متقد العقل ، وعقل فلان شعلة من ذكاء . ولا شك أن الفسفور هو عنصر الاشتعال المخى أو الاتقاد الذهنى المسمى بالذكاء . وقد أثبت العلماء الفسيولوجيون أن سعة الصدر دليل على الذكاء ، وهذا ظاهر في أجسام الادكاويين .

ويتجلى هذا الذكاء في حياتهم العملية والعلمية ، ولا يكاد يحصى له أمثلة ، فأصبح لهذا طبيعة أو غريزة وراثية .

وللادكاويين حيل غريبة فى حياتهم صادرة عن إدراك قوى ، وهم يعمدون إليها للتفكهة والتخلص من المآزق ولذلك يقال .

(برلسى) راجل مكار .·. وفاق عنه (الادكاوى)

الادكاوى والشيطان

ومن أبرع الأساطير الادكاوية أسطورة الشيطان التى إن دلت فأنما على ذكاء الادكاوى المفرط .. وكيف كان ذلك ..؟!

زعموا أنه جاء شيطان ذكى إلى إدكاوى وطلب إليه أن يفتل له حبلا من الرمل . فابتدره الادكاوى قائلا :

ما أيسر طلبك . . . هيا سنسرلى أفتل لك .

(سنسر : اصطلاح ادكاوى معناه : مهد الحبل للفتل)

وعليه فالادكاوى لم يتبلد أمام الشيطان ، وإنما اتخذ تعجيزه وسيله لحل المشكل ، وإلا فكيف يفتل الحبل قبل أن يمهد . ومتى تمهد أمامه حبل من الرمل سهل عليه إذن فتله ... يحيا الادكاوى ...

الثقافة والتعليم

كانت إدكوقبيل وجود المدارس رازحة تحت نير الجهل الثقيل يعانى أهلها شظف العيش وخشونته ، فكأنى بالادكاوى يقول :

وحسبى من غنىً شِبَعٌ ورِىٌّ .

ونستطيع تقسيم تاريخ العلم والثقافة . بادكو كما يلى :

أولا : عهد المساجد والكتاتيب : كانت الكتاتيب دور العلم الوحيدة ، والسراج الخابى الذى يشع منه بصيص من النور بقدر ما تتسع له مطالب العصر ، كما أن المساجد كانت مجامع الثقافة والتهذيب . وكان عدد تلك الكتاتيب خمسة عشر وقد أخذت دورها ثم نثرت المدارس عقدها

ومحتها من الوجود. وعندى أن كتاب الشيخ اسماعيل زيتون حلقة الاتصال بين القديم والحديث، وكان لمؤلف هذا الكتاب نصيب من الالتحاق بهذا الكتاب فى سنة ١٩٢٣ غير أنه لم يلبث به غير يوم أو بعض يوم قرارا مما لم يألفه من ضوضاء وعقم في التعليم.

وعلى العموم فهو كتاب عصرى لاحتوائه على حجرات بها مقاعد مصفوفة، وبكل منها سبورة موضوعة، و (الفلكة) معلقة، و (زبانية) الكتاب صفاً صفاً، وسيدنا الشيخ على عرشه، يصنع القفف تاركا حبل الأمور على غارب (العريف) وهو أثير لديه، مطاع ثم أمين. وكانت مصاريف الكتاب ـ ولله الحمد ـ أرغفة تدفع على أقساط.

وأسيادنا المشايخ كانوا يتوارثون رئاسة الكتاب عن آبائهم إذا مات منهم سيد قام سيد. والحق أن هذه الكتاتيب بتعاليمها. والمساجد بتهاذيبها كانت تمهد الطلاب للالتحاق بالازهر.

ثانياً: عهد المدارس: يبدأ عهد المدارس بادكو من زمن عمدتها السابق حسن على زيتون المتوفى سنة ١٩١٤، فى سنة ١٩٠٦ كلفته الحكومة ـ كما كلفت جميع العمد بانشاء مدرسة فى قريته، فجمع التبرعات حتى قامت المدرسة وكان معلمها وناظرها الشيخ اسماعيل زيتون يساعده (العريف) الشيخ عطيه ورشانه. وكانت الحكومة تقررلها إعانة سنوية. ولا زالت أنقاضها حتى اليوم شرق مكتب خفر السواحل مباشرة.

وحدثتنى أمى أنه فى زمن هذا الكتاب قام رجل تعاونه زوجته ـ وكانا غريبين ـ وفتحا مدرسة للبنات بمنزل سالم عيد ريشة ، فكانت المرأة تعلم البنات الاشغال اليدوية والتدبير المنزلى ويقوم الرجل بتعليمهن مبادىء القراءة والكتابة . إلا أنهما أغلقا المدرسة وذهبا من حيث أتيا ، ومن ثم أحيلت البنات إلى المدرسة الاولية .

وبالجملة فان مدرسة العمدة كانت أشبه بالكتاب منها بالمدرسة وكانت نواة لتأسيس المدارس النظامية بادكو .

المدرسة الاولية للبنين : سنة ١٩١٤ تابعة لمجلس مديرية البحيرة وقد ألحق بالمدرسة قسم ليلى في سنة ١٩٢٥ لتعليم الرجال ثم ألغى

المدرسة الالزامية للبنات : كانت البنت تجلس إلى جانب الولد فى المدرسة الأولية للبنين ، ولما كانت الرغبة صادقة في تعليم البنت أنشأت وزارة المعارف مدرسة لها فى سنة ١٩٢٤ .

والحق أن هذه المدرسة بفضل مدرساتها قد هذبت كثيرا من خصال البنت وكان لها أكبر الفضل فى نجاحها فى التدبير المنزلى وتعويدها آداب اللياقة والنظافة وتثقيف عقلها ولسانها . لذا فهى مبدأ النهضة النسوية فى إدكو ، وعما قريب سنرى المرأة الادكاوية تشارك الرجل المستقبل طبعا ـ في حياته مشاركة الند للند ، لا امتلاك السيد للعبد . وسوف تتمخض هذه المدرسة عن مدرسة ابتدائية للبنات ولكن بعد سنين عدة حيث تكون إدكو قد تشبعت بالروح التعليمية .

المدرسة الالزامية للبنين : سنة ١٩٢٦. أنشأتها وزارة المعارف وبها ستة مدرسين وناظر . والتعليم بها نصف يومى ومجانى . وهى الآن تابعة لمجلس البحيرة وتشغل بناء صحيا كبيراً بالقرب من الطريق الزراعى .

قسم النسيج والسجاد : سنة ١٩٣٠ ألحقه مجلس البحيرة بالمدرسة السابقة ثم بالمدرسة الاولية . يقبل عليه التلاميذ يتعلمون النسيج على الآلات الحديثة بالنسبة لادكو . وتنسج البنات السجاجيد الفاخرة وتباع منسوجاته بأثمان موادها الأولية (خاماتها). وعما قريب سيضم القسم إلى وزارة التجارة والصناعة ليكون محطة تجارب لنماذج النسيج .

المدرسة الابتدائية للبنين : سنة ١٩٣٢ أنشأها المغفور له الاستاذ احمد عشره الادكاوى بعد أن نال دبلوم دار العلوم . وقد احتفل بافتتاحها فى ٢٨ يوليو سنة ١٩٣٢ احتفالا لم تر إدكو فى سالف عهدها أروع منه . وفى ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٣٢ فاضت روح المغفور له احمد عشره فنكبت بفقده إدكو ومدرستها . إلا أن الادكاويين طالبوا مجلس مديرية البحيرة فى عهد عبد السلام الشاذلى باشا مدير البحيرة بضمها إليه ، وقد ظل المجلس يشرف عليها ويديرها ، وقد تجلى نشاط تلاميذها وذكاؤهم فى نتيجتها السنوية ففى سنة ١٩٣٥ كانت ٩٥ ٪ وفي سنة ١٩٣٦ كانت ١٠٠ ٪ وهى أكبر معهد علمى في إدكو ولها منزلة محترمة، والاقبال عليها في تحسن ، وعما قريب ستضم المدرسة إلى وزارة المعارف وبذلك يفتح للتعليم بادكو صفحة مجيدة . أما خريجو المدرسة فيتوزعون

بين الأعمال الحرة والمدارس الثانوية والصناعية والتجارية .



مدرسة ادكو الابتدائيــة

التلميــــذ : لعـل من ابرز صفـات التلميذ الادكاوى النشاط الجسمى والعقلى والخلقى . ومن طبعه التبكير إلى المدرسة وهو حر التفكير ، شجاع فصيح ، له استعداد للخطابة ، كامل الخلق ، مجتهد لعدم وجود الملاهى التى تشغله عن دروسه ، وإن كان لا يحـرم نفسه من التمتع باللعب البرىء في الهواء الطلق ليسرى عنه عبء التحصيل المدرسي . وهو يحترم مدرسته ومدرسيه ويتفانى فى حبهما حبا هو أقرب إلى التقديس منـه إلى الاحترام . قوى الملاحظة ، دقيق النظرة ، حاضر البديهة ، شغوف بالمطالعة ، محب للنظام والنظـافة ، هادىء مرح . على أن هذه الخصال

بعضها مكتسب من بيئته ولا ساتذته فضل إكمال ما أغفلته وسد مابها من نقص . وللنبوغ نصيب كبير من شخصيات الطلبة الادكاويين فى شتى الاوساط ، وهم بنبوغهم هذا ، وعصمتهم الاخلاقية يخلدون لبلدهم ذكرا حسنا مما ألهج الألسنة بالثناء على شخصياتهم .وبسبب هذا النبوغ يتعلم أكثرهم بالمدارس العليا مجانا فهم الكثيرون بكليات الجامعة المصرية

وتغرب الطالب الادكاوى في طلب العلم يصهر شخصيته في بوتقة تجارب الحياة فيختبرها بنفسه ويتحقق أسبابها ونتائجها فينتفع بها في مدرسة الحياة كما انتفع بها في حياة المدرسة .

المتعلمون : نسبة المتعلمين بادكو ٦٠ ٪ منهم ٥ ٪ متعلمون تعليما ابتدائياً فما فوق والباقون متعلمون تعليما أولياً فقط . والمتعلم الادكاوى سواء واصل التحصيل أم لم يواصل مجد في الوصول إلى مثله الأعلى . وهو نزاع إلى تغذية عقله . وبادكو كثير من حاملى الشهادات العليا ولهم فى مضمار الحياة نصيب من الوظائف الراقية ، على أن أكثرهم مدرسون (٢٠ الآن) ومما يدعو إلى الاغتباط زيادة المتعلمين شيئاً فشيئا .

الثقافة : يحرص الادكاوى على تتبع الأخبار الداخلية والخارجية فى الصحف اليومية والمجلات والكتب والروايات . أما الأميون فيغلب ما يعقدون حلقة من الصيادين يطالع عليهم أحدهم قصص أبي زيد الهلالى، وعنتر ، وابن ذى يزن ، والفتى كرار واخواتها ويجدون لذة في السمر... على أن الصحف الآن ميسور ورودها فهى تصل ظهر كل يوم

السياسة : للادكاويين شغف بالسياسة ، وكلهم تحت لواء الوفد المصرى ، ولهم فى شتى المناسبات مواقف مشرفة ، تدل على ثباتهم على المبدأ . وبادكو (لجنة الوفد المركزية) و (ولجنة الشبان الوفديين) ويتجلى حزم الادكاويين فى زيارات الزعماء لهم ، لما عرف عنهم من التضحية في سبيل نصرة الوفد ، وقد كابدت إدكو فى مبدئها الوفدى صنوف الآلام مستخفين بها ، وتتبع إدكو دائرة رشيد في مجلس النواب ودائرة المحمودية في مجلس الشيوخ . ونظرا لكثرة عدد الناخبين فيها يحرص نائبها فى البرلمان على إبداء رغباتها في الاصلاح .



النحاس باشا وصحبه الاخيار يتناولون العنب والتين على مائدة لجنة الوفد وحولهم شباب ادكو الناهض



دولة النحاس باشا يخطب الادكاويين من شرفة منزل رئيس لجنة الوفد بادكو سنة ١٩٣٥

الفنون والآداب

لاشك أن في اتساع الوقت لدى الادكاوى فسحة للفنون ، وأن في مجالى الطبيعة مجالا لها ، يجد فيها الخيـال المتوثب متعته ، والذهن الخصيب مرتعا ، فثمة أمواج البحر صخابة ترسل أنفاسها نسيما سحريا إلى الرمال النواعم البيض ، فتمايل النخيل في نشوة .

والنسيم العليـــل يلقى إلى النخـ ـل حديث الدأمـــاء همسا بهمس

وثم البحيرة الناعسة وذوات الشراع يخطرن مائسات على أشعة البدر الفضية ، والنجوم الآلقة على الرداء الأزرق العلوى المنعكس على الرداء الأزرق المائى . أليس في هذا الجمال الهـادىء البسام ، الناعس

الساحر مراح للشاعرية التي تحرك الذهن الصافي للاحتفال بها .

الشعر الادكاوى : يمتاز الشعر الادكاوى على الاطلاق ببراعة النكتة والفكاهة وخفة الروح ودقة التصوير ، وإمعان النظرة ، ورصانة الروى ، وابتكار فنون الشعر ومواضيعه ، على شغف كبير بالطبيعة . على أن أقدم شاعر إدكاوى وصل إليه علمنا هو الشيخ عبدالله الادكاوى : الشهير بالمؤذن فى القرن ١٢ الهجرى ، وقد أثبتنا ترجمة حياته عند ذكر علماء الاسلام الادكاويين . وقد أفاض الجبرتي فى شعره . قرظ كتاب (ألف با) بقصيدة طويله منها

هذا كتاب (ألف با) به أهبت فلبى
كم همت فيما حواه وغلّ منى لبا
لكننى لست ممن يُعدُّ بين الألبَّا

ومن شعره التهكمى قصيدة فى (عنز الشيخ عبد اللطيف) كبير خدمة ضريح السيدة نفيسة . ويستطيع القارىء الاطلاع على قصة العنز هذه فى تاريخ عبد الرحمن الجبرتى في أخبار سنه ١١٧٣ هـ ... قال

ببنت رسول الله طيبة السنا نفيسة لذ تظفر بما شئت من عز
ومن أعجب الأشياء تيس أراد أن يضل الورى في حبها منه بالعنز
فعاجلها من نور الله قلبه بذبح فأضحى التيس من أجلها مخزى

وله فوق هذا شعر كثير فى الزهد والتوسل .

ومن شعراء إدكو الشيخ أمين عبد القوى وكان عالما دينيا توفي في سنة

١٩٣٢ ومن قوله متفكها فى رثاء صانع برادع الحمير الحـاج سالم دويب.

ما للحمير غدوا بلوعـة خـاطر ... يرثى لحـالهمو كيـوم المحشر

باتوا حيـارى لا برادع فوقهم ... يشكون من ألم لفقـد الميبر

ويقول قـائلهم :

ياحاج سـالم إننـا بتنـا عـلى ... حـر الظى وظهـورنا لم تستر

فاذكر تحيتنـا إليك وشوقنـا ... لبنيك طـراً سيما للبربرى

ومن شعره الوجدانى :

سألزم نفسى باتبـاع الشوارد ... وبحثى عن أسبابها بالشواهد

وقد علمتنى عـزة النفس أننى ... أدوس بأقدامى رءوس الحواسد

ولم أتكل يوما على جاه جاهل ... ولو قل مني العزم بين الأماجد

ألم تك مرآة التجارب بصرت ... أولى المال أن المال ليس بخالد

ومنهم الاستاذ الشيخ عبدالحليم قطيط العالم الدينى والأديب الكبير، وكان للعصامية أكبر شطر من حياته ، وهو الآن محام شرعى وإمام وخطيب وواعظ كبير . قال فى يوم مطير :

تذكرت اليومَ السماءُ حبيبَها ... ففاضت مآقيها من الدمع أنهراً

لقد كان للزرقاء والأرض صحبة ... وصارا إلى البين المُشت كما ترى

فما تبرح الزرقـاء تبكى لبعدها ... وهذا وفاء ماعهدناه في الورى

وأنى لهم هذا الوفاء وما نرى ... لأمهمو الغبراء إلا تنكـرا

فمنها جمـاد لايجود بدمعه ... وآخـر مهتز إذا الجو أمطرا

كأن خرير الماء من فوق حجرتى مزامير داود النبى إذا قرا

ومنهم الاستاذ سلامه غبارى وهو أديب نظم الشعر في شتى المناسبات ويمتاز شعره بالسهولة في التركيب ، قال فى وصف (مدفع) على ساحل البحر ، ربض على كثيب من الرمل .

قد هاج شجوى مدفع ألفيته بين الرمال كليث غاب يخشع
لما تطاول نومه بين الثرى قامت عليـــه السافيات تدفع
كم ذاد عنا من بلاء مدقع أبكى عليك بحرقة يا مدفع
قد كان عهدك عهد مجد باذخ والناس في غفلاتهم لم يسمعوا
لهنى على مجد تولى وانقضى لم يلف من يبكى له ويودّع

ومنهم الشيخ محمداحمد قاقا تعلم بالازهر ولم يواصل واشتغل بالتجارة ، واطلع على فنون الأدب قال يناجى نجما :

أيها النجم هل رأيت فؤادا نغص الدهر عيشه كفؤادى
صوّب الدهر سهمه فرماه واستقرت سهامه فى سوادى
لست أدرى لأى شيء أرانى سيء الحظ فى بلوغ مرادى
هل إلى الموت من سبيل فانى لا أرى في الزمان غير عناد
(تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب في ازدياد)

ومنهم محمد محمود زيتون مؤلف كتاب إدكو . نظم الشعر ولم يتجاوز العشرين . وكشف بشعره عن نواحي الجمال الطبيعى فى إدكو ، وقد أصدر ديوان (جرس المدرسة) سنة ١٩٣٥ مشتملا على مانظمه أيام

الدراسة وصدره له استاذه الشاعر الكبير فخرى ابو السعود .

ومن شعره فى (بحيرة إدكو)

البحيرة الناعسه

كمل البدر رونقا وجمالا	واكتسى الليل ضوءه سربالا
وصفيح المياه أمسى لجينا	صيغ من خالص الضياء وسالا
وترامى من الشعاع بساط	قصر الطرف عن مداه اشتمالا
والنجوم الحسان تسبى المآقى	ونسيم الصبا يزف الشمالا
شف سكب المياه بدرا سنيا	فى كلا الماء والسماء تلالا
وعلى شاطىء البحيرة لاحت	باسقات النخيل رفت ظلالا
وذوات الشراع يخطرن تيها	مائسات كأنهن ثمالى
تتهادى على العباب رويدا	نافثات عليه سحرا حلالا
أمنت سربه فراحت سراعا	طوع أرياحه تسير امتثالا
كلما صادفت زفيفا ترامت	بين كفيه يمنة وشمالا
تلك قيثارة لدى الريح فيها	ينفث اللحن سائغا سلسالا
وبنات العباب ألحان شاد	شمن فى اليم واسترقن الخيالا
سكرت هذه البحيرة حتى	نعست عينها ففاضت جمالا

الزجل . ولبعض الشبان الذين تثقفوا من المجلات ولع بالزجل وإن لم يكن ذلك كثيرا ومن هؤلاء الشبان احمد على المدخوم .

الأغاني : للصيادين أغان يزجون بها أوقات صيدهم وهى كثيرة ومنها .

ماحد خالى من الهم   حتى قلوع المراكب
ماتقولش للندل ياعم   ولو كان على السرج راكب

الملاهى : يتغنى الصيادون بمثل تلك الأغاني والمواويل البلدية المؤثرة يسمرون بها في أفراحهم ويجيدون العزف على المزمار، ومن وسائل الملاهى عندهم كرة اليد والمصارعة والنرد (الطاولة) والشطرنج ، والعصا ، والتمثيل وإن كان ساذجا ، وحديثا يذهب كثير من الشبان إلى المدن لمشاهدة السينما ومطالعة أحوال بلادهم ولا سيما في الأعياد . وهم يلجأون إلى الملاهي ليسروا عن جسومهم المجهودة ، وليرووا بها أرواحهم الظمأى ، ولا يترك الادكاوى فرصة مرح دون أن ينتهزها .

المجتمعات . ونظام الاجتماع بادكو غير متيسر لكثرة المشاغل وعدم تجانس العناصر مع أنه كان بادكو (نادى الطلبة سنة ١٩٣١) و (نادى الموظفين سنة ١٩٣٣) إلا أن النفوس فى شغف إلى الشعور بالروح الاجتماعي السامى ،على أنه تقام حفلات ثقافية يقيمها متطوعو (جمعية نهضة القرى) وكذلك المدرسة الابتدائية لنشر التعاليم التهذيبية .

الامثال الادكاوية : للادكاويين حكم وأمثال مقتبسة من محيط حياتهم وفيما يلى بعض من هذه الأمثال :

١ ـ (اللى فى قلعك انفضه) أى انفض مافي قلعك . مثل يضرب لعدم الاكتراث. ومصدره أن الادكاوى حين يفرد قلع قاربه ينفضه على لاشيء. فكأنه على يقين من أمره، وهو واقف على دخليته الجوفاء ، فلماذا يكترث ؟

٢ ـ فلان (زى المدفع المصدى لا ياخد ولا يدّى) أى كالمدفع الذى تراكم عليه الصدأ فتعطل عمله، فلاحول له ، ولا خير فيه . ومصدر هذا المثل المدافع القديمة المعطلة التى على ساحل البحر ويضرب المثل لمن لاعزيمة له .

٣ ـ (تعارك البحر والبحيرة عكت على الصيادين) أى تشاجر البحر والبحيرة فغرم الصيادون . ولهذه الحكمة تأويلات شتى منها . أن ليس فى الحياة عدل ينتصف للبرىء .

ومنها يتطاحن القويان فيغرم بينهما الضعيف. ومنها أن لا بد دون الرزق من أشواك السبيل . وعراك البحر والبحيرة كناية عن ضيق موارد الرزق

٤ ـ (تحضر المقالى والسمك فى البحر) أى تستعد للطبيخ بينما الطعام فى عالم الغيب . ويضرب للأهوج المتسرع سيء التصرف . فالتى تجهز المقلاة (طبق فخارى يطبخ فيه السمك فى الفرن) وتستعد للطبخ وزوجها فى البحر لمّا يحضر لاشك أنها هو جاء جاهلة

٥ ـ (كل بركة ولها بلاشون) أى لكل بيئة سكانها ، فليس من العدل أن يسام الأشراف كما يسام الانذال . ومصدر هذا المثل صيد الطيور من البحيرة فان البلاشون طير مائى ذو منقار طويل فى بحيرة إدكو يصاد ، وبالبحيرة برك كثيرة طيورها شتى ، ويدل هذا المثل على الشعور بالعزة القومية ، والكرامة الادكاوية .

٦ ـ (اللى مايعرف الصقر يشويه) . فان شى الصقر ـ على منعته وقوة جانبه . دليل على امتهانه واحتقاره ، ويقول الادكاوى هذا المثل لمن

يحتقره ، وهو بهذا يدل على جهل المحتقر بعزة المحتقَر وأنفته .

٧ ـ فلان (أزرق الشعرة) وهذه الكناية مقتبسة من فن الحمير فالحمار الأزرق الشعرة معروف بالمكر . والادكاويون مهرة في انتقاء حميرهم .

وأذكر أنى أتيت بهذه الكناية مثلا حين طلب إلى الاستاذ على الجارم بك مفتش اللغة العربية عند زيارته إيانا أيام التحصيل بالمدرسة العباسية الثانوية .... فسر منها .

٨ ـ (جئت من تحت الريح) كناية عن اللين السياسى ، ومن طبع الادكاوى التمشى والمسايرة حتى النهاية لا المهاجمة والصدام .

٩ . (فلان يعس بجوابينا) : والجوابي : الشباك السلكية لصيد السمك والعس : هو العسس أى تفقد الجوابى واستخراج صيدها . ومن يصيد السمك بوسيلة غيره كمن يتخذ سلاح غيره وسيلة لرزقه فكأنه لص وهذا لا يرضى الخلق الادكاوى .

١٠ . (اللى مايعرف اللى في عقل الصيد ما يصيده) أى من لا يعرف مافي عقل صيده لا يستطيع أن يصيده . كناية عن الوثوق بطوايا الغريم قبل التغلب عليه وإلا ضاع من يده . وهذا دليل على المهارة السياسية .

وأظن أن في هذه الأمثال العشرة كفاية للاستدلال على اتخاذ البيئة قبس الحكمة ومستقى المثل . ويلاحظ أن مصادر معظم هذه الأمثال الصيد . والمثل الادكاوى على العموم برهان ساطع على صفاء الذهن واتساعه للحكمة ، وعلى فطنة ودراية بالأمور . ولا يخلو حديث إدكاوى من

أمثال هذه الأمثـال . ولو تسنى لك ياقارئى حضور مجلس إدكاوى فيقيني أنك سعيد الحظ بما تشعر به من الظفر بأبلغ العبارات والمناقشات التي تشغف ذاكرتك والفؤاد .

التأليف : وإدكو حديثة عهد بالتأليف، على أن معظم ماكان يؤلفه المؤلفون فى الدين ليس إلا ، وقد اتسعت حركة التأليف حديثا فشملت التأليف في الأدب والشعر والسياسة والاجتماع والقصص سواء أكانت في كتب أو مقالات فى الصحف والمجلات . على أن عدد المؤلفين قليل جداً ولـكن ينتظر للتأليف نهضة مباركة يقوم بها أبناء الجيل المقبل ، وقد رسمنا لهم خطـة السير فليسيروا على بركة الله .

الأخلاق

ترجع أخـلاق الادكاويين إلى مصدرين لا ثالث لهما وهما العرب والبيئة . وامتزاج هـذين النوعين من الأخـلاق يكوّن الأخـلاق الادكاوية المتميـزة .

١ ـ أخلاق موروثة عن العرب : ويرجع عهدها إلى زمن الفتح الاسلامى حيث استقر الأمراء المسلمون ونشروا تعاليمهم الاسلامية القويمة . ومن هذه الأخـلاق : الجـود فهم يجودون بما ملكت أيديهم ، وإكرام الضيف والسهر على راحته ، واحترام الغريب والتنافس في هدايته ، والرجوع إلى الأكبرسنا فى جليل الأمور ، ولـكل عائلة زعيمها ، ولهؤلاء الزعماء زعماء أخر معدودون يحتكم إليهم إذا اعترى خطب ولهم في حله

وسائل عربية إصلاحيه ومنها الشجاعة بكل معانيها قولا وعملا وحسن تأدية المواقف والحزم والشهامة والغيرة على العرض ، والتمسك بأهداب السلف والابقاء على التقاليد الموروثة ، ويسودهم الاطمئنان والهدوء الخلق ، ويشعرون بكرامتهم ويناضلون في سبيلها ماوسعهم ذلك ، يأنفون من كل خارج على جادة الحق والخلق ، يؤتمنون فلا يخونون ، على المرصابرون ، وبالقليل قانعون ، وبالقضاء راضون ، وحين الثراء شاكرون معتدلون ، يخافون الله سرا وجهارا ، لا يستنيمون إلى الظلم والاجحاف ، يجهرون بطلب حقوقهم ويتفانون فى نيلها ، يقرئون السلام لأنه عندهم مقياس دخائل الرجل فقد يظنون فيمن لا يسدى السلام فيقولون إما أن يكون متكبرا وإما أن يكون فقيرا واغتنى ، يمقتون المتكبر وينبذونه، لا يتعاملون بالربا وينقمون على ذويه ،لا يعرفون السمسرة ، والادكاوى لاتخدعه الأباطيل والأوهام، ولا يحفل بالألقاب ولاتغره المظاهر البراقة فيقول :

إن ممع الجدى ماتعشيش وراه جمال

أصله ابن معزه ولو كان من وراه كوم مال

له في الرجل نظرة صادقة ، ولا يحترم من لايحترمه ، وعواصف التهديد لاتزعزع يقينه .

٢ ـ أخلاق موروثة عن البيئة : للبيئة أثر واضح في أخلاق الادكاويين، فالطبيعة بخيلة بخيراتها مما يدعو إلى النشاط الذى هو أهم ظاهرة في

أخلاقهم . فالتبكير أول خصائص النشاط ، وإعمال الفكر من دواعيه وضيق العيش من بواعثه ، والجد والدأب من مظاهره ، والطموح من وسائله ، والنجاح آيته وغايته ، والادكاوى أعماله في أحضان الطبيعة ، ولذا تراه يؤمن بربه إذيرى عجائب مخلوقاته ماثلة أمام عينيه في البحر والبر والسماء والارض، وقد سحرته الطبيعة بجمالها الفريد ، فكأن الادكاويين من تفسير قوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وقد تأتى على الادكاوى أيام الجدب ومع ذلك فهو صابر بما قسم له ، قانع غير شاك إلا إلى الله ، وغير طالب إلا من الله . وهذا هو السر في تمسكهم باسلامهم . والادكاوى حاد البصر لأنه من سكان السواحل والخلوات معا فيرسل نظره في مدى البحر أو البحيرة أو الخلاء لا يعترضه حاجز ، فالبصر حر طليق ، سابح في الفضاء المائى ، والفضاء الخلائى ، والفضاء السمائى اللانهائى .

وهو إذ يضطجع على الرمال في الحقول الشاسعة المقفرة عليه ألا يمكن الوحشة من نفسه ، فلا بد له من التذرع بالشجاعة وتملك روابط قلبه .... تعوى الذئاب عواءها المريب ، وقد يلمحه أحدها فيتحرش به ، وحينئذ قبل أن يتأهب للدفاع عن نفسه يجب أن يتثبت من عقله ، وأن يخادع الوحش بما وعاه من دروس الدفاع والخداع ثم يتملك قوته وإلا افترسه وأرداه . ولعل في هذا أقسى دروس الشجاعة ، ولو لم تحنكه تجاريب الشجاعة لكفاه درس كهذا لأن يكون أشجع شجاع .

ومن دلائل الشجاعة إنقاذ الملهوف . ذلك أن الادكاوى سابح ماهر عملا بفروض الطبيعة ، وإنقاذ الغريق من طبعه . وكما يكون الغريق فى البحر يكون الغريق المستجير من بحر الحياة الصاخبة العاتية . والحق أن الادكاوى لا يألو جهداً في استجابة المستغيث والتضحية بكل مالديه فى تخفيف آلامه .

ولما كانت الطبيعة هادئة والمناخ معتدلا يندر تقلبه تقلبا مفاجئا فان عقل الادكاوى معتدل تبعا لذلك، ولذا فهو يهتم بما يقع تحت حسه فيتقن عمله ويفتن فيه ، والاتقان يؤدى إلى الرزانة وسلاسة الاخلاق، وقوة الادراك . وإنك لتدهش من أحدهم إذ يزرع عشرات الاحواض من البطيخ والتماون فتعى ذاكرته عدد البطيخ في كل حوض وشكله وموضعه ونوعه ومبلغ نضجه ، فاذا مررت به وأخذت بطيخة ، فانه بمجرد لمحة إلى أحواضه يحس بأنه مسروق فلا يلبث حتى يتابع خطواتك على الرمل بكل مهارة فيعرفك وحينئذ لا يكالمك وإنما يطلب عقد مجلس من أهل الخير تحضره أنت فيقدرون ماله وما عليك .

وقد برع أكثرهم فى فن متابعة الأثر وبلغت المهارة بأحدهم أن يستطيع تمييز الخطى بوضوح ونسبتها إلى صاحبها لأول مرة يرى فيها خطوته .

ولما كان الأثر يهدى الى الحقيقة فلا يستطاع إنكارها وجب أن يكون الادكاوى صادقا فى قوله وفعله وإلا اكتشف أمره وافتضح سره ، الأمر الذى يتجنبه جهده .

والادكاوى ولع شديد بالنقد فهو يتفحص الشيء ويحلله وينقد الرجل نقدا لا أثر للهوى فيه . ويقيننا أن مبعث هذا النقد الذهن الصافى ، والادراك القوى ، ونشدان الكمال . ولما كان ظفر الانسان ببغيته بعد طول كفاح باعثا إلى الارتياح المتمثل فى بشر الوجوه ، فان الادكاوى ، بعد أن يشقى فى الحصول على عيشه حتى ينال بغيته ، ترتسم على محياه ابتسامة الرضى ويشيع فى قلبه نور الأمل ، فيضحك سنه عن سعادة دونها أى سعادة ، لأنها غاية الكفاح والظفر . لذلك يسخرون بالعقبات ويهزءون بالصعاب مستبشرين فرحين مرحين تعرف في وجوههم نضرة النعيم . ومرافق الحياة فى إدكو من صيد وزراعة وصناعة وتجارة تستدعى التعاون فى الجهاد مع التخصص ليظهر مجهود الفرد فى استقلاله بناحيته مما يبعث إلى التفوق والتنافس والتنافس يؤدى إلى الغيرة التى تؤدى إلى مواصلة العمل والغيرة بكل معانيها صفة ظاهرة فى الادكاويين . ومن أمثلة الغيرة على العرض أن نجارا كان يشتغل فى سقف منزل إدكاوى فخانته رجلاه فسقط في بهو الدار مغشيا عليه فابتدره صاحب الدار قائلا (أوعك تكون شفت النسوان) .

ومن أخلاق الادكاوى المرونة فليس صعبا فيكسر ولا لينا فيعصر. ولعله اكتسب هذه الصفة من صيده الذى يحتاج إلى مهارة فى الاحتيال. وطول الأناة . والمسايرة .

ولما كانت الطبيعة ــ على بخلها ــ لاتدر خيرها إلا بميعاد وهى

مواسم معينة من السنة وجب أن يكون الادكاوى حريصا على ماله . حريصا على ملبسه ومسكنه وبالجملة على حياته . والحذر من معانى الحرص ولذلك يقول . فى معنى (ولا تصنع المعروف فى غير أهله)

يامربي يا نادم جرو الديب وابن آدم

على أن من مظاهر الحرص الاقتصاد فهو لايشترى إلا المتين . ويؤثره على المظهر الخادع . وهو لا يدع باباً من أبواب الاقتصاد إلا طرقه في غير مابخل أو تقتير . والبيئة الريفية على العموم بيئة تعبد وصلاح . ولهذا فالنفس الريفية تشمئز من الفساد الأخلاقى وتنقم عليه وتصب على مقترفيه جامات الغضب واللعنة .

ومن العوامل التى حفظت إدكو في (علبة) من التقوى بُعدها عن مظاهر الفساد . وانضواؤها تحت ظل الاسلام . وضيق ذات اليد بالمال المغرى . فلا يقترفون فاحشة . ولا يرتكبون إثما .

ادكو فى رأى رحالة

كتب الاستاذ الرحالة محمد ثابت في العدد ١٢٠ من مجلة الرسالة عن رحلته الى حدود مصر الغربية فقال (شددت رحالى الى الناحية الغربية ... فكان أن بدأت بخط ادكو ـ رشيد . فمررنا بأراض شبه صحراوية بها مزارع متناثرة غير متصلة وبخاصة حول ادكو . وهنا أدهشنى نشاط الأهلين فى الكد وراء كسب عيشهم حتى الأطفال فتراهم لا يضيعون من وقتهم شيئا . يخرجون جماعات لصيد السمك أو الطيور يتجرون فى

ذلك كباراً وصغاراً . وأنت ترى جموعهم تتهافت على القطار يعرضون
عليك سلعهم هذه فان أعوزهم المشترون عكفوا على دورهم يأكلون
ماتخلف معهم من سمك كثير وطير وفير . لذلك كنا نلمس فى أجسادهم
وفرة التغذية والامتلاء . ومن السلع المنتشرة هنالك البيض والليمون .
أما غابات النخيل فهى فى كثرة فائقة ومنها نستمد البلح الرشيدى (الزغلول)
ذائع الصيت .)

هذا ما اقتطفناه من كلمة الاستاذ الرحالة مما له علاقة بادكو . وهى
في الحقيقة مجرد لمحة ألقاها الأستاذ وهو بالقطار وان كنا نحمد له
وللظروف ماجادت به قريحته فى تلك العجالة ولنا عليه بعض مآخذ وحواشى

نعم ان الاهالين جادون في كسب عيشهم يعاونهم أطفالهم ولا سيما
في صيد السمك والطيور البرية دون البحرية . وتعتبر مواعيد وصول
القطارات الى ادكو أسواقا لعرض السلع من سمك وطيور و بيض وعجوه
ودواجن أما الليمون فليس من السلع المنتشرة ولا غير المنتشرة لأنه
لا يوجد بادكو أشجار ليمون اللهم الا اذا كان لأحدهم حديقة بها شجرة
وليس هذا بالكثير حتى يباع . وربما كان أحد الرشيديين يعرضه أثناء
وقوف القطار فظنه الاستاذ الرحالة ادكاويا وأن الليمون منتشر بادكو.
ثم إن ما يتخلف من سلع بعد قيام القطارات لا يعكف به على المنزل وانما
يذهب به الى سوق ادكو . وفي ناحية منه تقام (سوق السمك) حيث
يزدحم المشترون . ولا يعكف به على المنزل الا بعد أن تنفض السوق .

أما البلح الزغلول فليس بالرشيدي كما يقول الاستاذ وانما هو ادكاوى وسمى بالرشيدى لغلبة شهرة رشيد على ادكو في العمران فقط . وليرجع القارىء الى تاريخ البلح الزغلول فى موضعه من الكتاب في القسم الزراعى.

العلل الاجتماعية : الكمال لله وحده . فلا بدع اذا كان في كل شعب نقائص تقوم الى جانب فضائله . وكفى الشعب نبلا أن تعد معايبه . ولا يتورع المربى الناصح عن كشفها حتى يمكن معالجتها . لهذا ، ولكيلا أتهم بالمحاباة لشعب درجت فى ربوعه . على أن أنوه - من وراء حجاب عن بعض من عللنا الاجتماعية التي منها غلاء المهور غلاء فاق التصور فليس يقل مهر الفتاة من الطبقة المتوسطة عن خمسين جنيها ومنها تعصب كل عائلة بشرف محتدها . ومنها إدمان النظر الى المرأة فى سيرها. ومنها التطفل بالتدخل بين متحادثين . ومنها التجمهر على أتفه الأمور. ومنها سريان الخبر فى البلد بسرعة تفوق اللاسلكى . ومنها سرعة التصديق . ومنها الجهل المفرط والاغترار بالمال فتكون النتيجة الانحدار الى أسوء حال.ومنها التشدق بالالفاظ الكثيرة الاستعمال المستهجن تكرارها لدى السمع . ومنها كثرة الشكاوى المجهولة فى حق الموظف لأدنى سبب. ومنها التكاثر بالاولاد والتفاخر بمعرفة العظماء والمساومة فى البيع والشراء الى حد غير مقبول . ومنها التهاون فى سداد الديون .

ولا يخفى ما للجهل المطبق من يد شوهاء سوداء في ارتكاب هذه العلل المشينة . والتعليم كفيل بمحو هذه الامراض وابادتها ويعاونه

في ذلك حسن استعداد البيئة للتثقيف . أثبت هـذا الحقيقة وابتغاء الاصلاح (إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله)

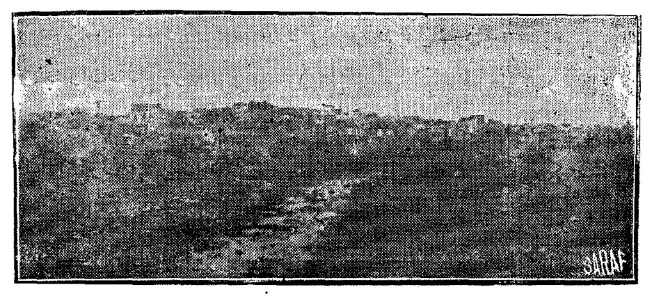
العادات : للادكاويين عادات أصبحت فى حكم التقاليد فلا يمكن التخلص من قيودها . وقد ذكر على باشا مبارك بعضا من عوائد الادكاويين قديما ومنها كما قال « لا يخرج الرجل من بيته كائنا من كان إلا ومقطفه على عاتقه . فأذا عاد استصحب معه في المقطف ولو حجرا » . ومن عاداتهم الكرم الزائد فى أفراح العرس والولائم والحفاوة بالمدعوين . والنساء محتجبات لا يخرجن إلا نادراً وإلا ليلا . ومن عاداتهم التجمهر على القطارات بسبب وبغير سبب . وهم ينامون ويستيقظون مبكرين . وللجنازات عندهم روعة . ويحرصون على تشييعها غنيهم قبل فقيرهم ، وهم فى المصائب يواسون بعضهم بعضا وفي المآتم يقيمون سرادقات من صوارى المراكب وقلوعها وتضاء بالكلوبات وتحيا الليالى الثلاث بالقرآن الكريم.

وفى الأعياد تقام الاراجيح الكبيرة من قوارب صغيرة وخصوصا عند كوم الطواحين وكوم الشلبى ويتهافت عليها الشبان . ويتبادلون في العيد تحية (كل عام وأنتم بخير) فلا يمر إدكاوى بآخر إلا ويهنئه بالعيد مصافحة ومشافهة . والنساء يتبادلن الزيارات ليلا ويقدمن الكعك المحشو بالعجوة الادكاوية . ومن عاداتهن أنهن لا يخبزن إلا ليلا .

الحياة المنزلية

المساكن : كانت الجهة التى حول المحطة إلى زمن لا يتجاوز الثلاثين عاما

كلها مقابر تمتد من الشمال حتى تنتهى بشاطىء البحيرة . ولما مد الطريق الزراعى وزاد عدد السكان تهافتوا على شراء أراض بجوار المحطة وبنوا هنالك منازلهم التى تخطت السكة الحديدية جنوبا ولا يعلم بعد ذلك إلى أين تتسع ؟ أيردم جزء من شاطئى البحيرة لتقام عليه المنازل ؟ كلا فان للبلدة متسعا في كلتا جهتيها الشرقية والغربية حيث تجف الملاحتان صيفاً . وتقام المنازل هنالك بكثرة فائقة فضلا عن اتساعها من الشمال شرقا وغربا فى الحقول الرملية الشاسعة بين النخيل الباسقة .

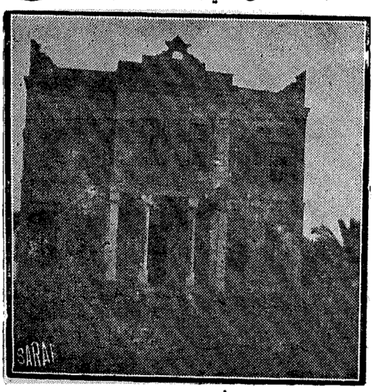


الملاحة الشرقية وترى المنازل على بعد

والمشاهد أن حركه الأبنية الحديثة فى نشاط ومعظمها فى هاتين الملاحتين لقربهما من أهم ناحية فى إدكو وهى المحطة . .

المنزل : لكل إدكاوى منزله الخاص به ويطل على شوارع أربعة مبنى من الطوب الأحمر ويجلب من رشيد وكذلك الجير على سيارات

وتكاليف البناء زهيدة غير أن ثمن الاراضى مرتفع . ولا يقيم الادكاوى منزله كاملا وإنما على دفعات فيبدأ بحجرتين شماليتين بينهما بهو يسقفهما بالأسمنت المسلح الذى برع فيه الادكاويون ويترك أرضيتهما رمليتين حتى إذا شعر بالبرد جد في السعى لاستكمالهما تاركا بعد ذلك فى الخلف فضاء يحدده بسور من جريد النخيل يقسم إلي ثلاثة أقسام : قسم للفرن وآخر لتربية الدواجن وأغلبها بط بلدى ودمياطى وسودانى ودجاج وأما الأخير فللحمار . على أن المنزل مؤثث بأحدث أثاث وأجمله سواء في ذلك بيت الغنى والفقير والتاجر والصياد . ويضاء المنزل بمصابيح البترول . ويستخدم الصيادون سطوح منازلهم لنشر شباكهم بعد عودتهم من الصيد . وأغلب المساكن قديمها وحديثها من طابقين .



منزل ادكاوى

الشوارع : ويمتاز المنزل الادكاوى باستقلاله وإطلاله على الجهات الاربع .

لذلك تكثر المنعطفات في شوارع إدكو التى أهمها : شارع المحطة أى الطريق الزراعى ، ثم شارع البوسطة القديمة ، وشارع النقطة ، وشارع العمدة ، وهذه الثلاثة تصل جنوب إدكو بشمالها وتتفرع منها الشوارع الأخرى ، ويندر حدوث الحرائق في إدكو لعدم وجود مسبباتها .



شارع المحطة وهو أهم شوارع ادكو

وبادكو أربعة أحياء وتسمى عندهم (الحارات) وهى : الحارة القبلية ، الحارة البحرية ، الحارة الشرقية (المجمرة) ، الحارة الغربية ، ولكل حى عائلاته وطباعه وخصاله . ويختلفون فى أعمالهم

رحلتا الشتاء والصيف : وللادكاويين رحلتان . رحلة الشتاء ورحلة الصيف ، فيقضون فى منازلهم سبعة أشهر تنتهى بأوائل يونيه حيث يهجرونها ويقضون الباقى من السنة فى أكواخهم فى الحقول الرملية ثم

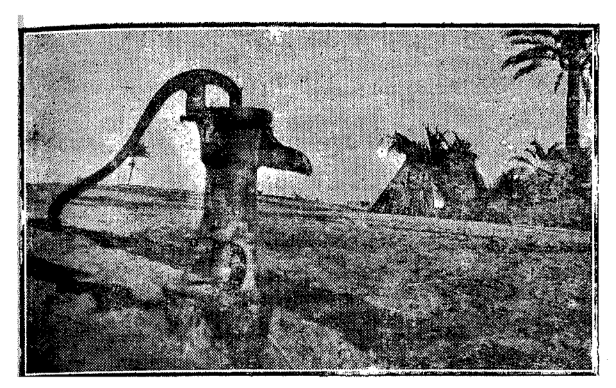
يرجعون بعد انقضاء موسم تصدير البلح في أواخر أكتوبر .

الكوخ: من جريد النخيل كما يرى فى الصورة ويسمى عندهم (عزبة) أو (خص) ويتكون من عدة أكواخ للنوم والطبخ والاستحمام تفضى كلها إلى فناء أمامها وباب الكوخ منخفض تدخل منه منحنى الظهر جاثيا على ركبتيك وللاستقبال كوخ بعيد عن كوخ السكن ويسمى (نواله) يجتمعون حولها يتحدثون ويقيلون في ظلها يصنعون المقاطف . أما المرحاض فانه بعيد عن السكن . وهذه السكنى جميلة محبوبة نظيفة وصحية



الكوخ الادكاوى .

مياه الشرب : كانت إدكو حتى سنة ١٩٢٨ تستمد مياه الشرب من الآبار الموجودة فى شمالها ، وكانت تستخدم إلى جانبها المضخات .



مضخه في حقل

وكانت عملية نقل المياه من الآبار والمضخات عسيرة لبعدها عن المساكن . ولما وصلت مياه الشرب المرشحة إلى إدكو في سنة ١٩٢٩ من البوصيلي شرق إدكو في أنابيب بنى لها خزان من الاسمنت المسلح يسع ٦٥٠ مترا مكعبا من الماء . وهو في شمال المقابر . ومن هذا الخزان تتفرع مياه الشرب إلى المنازل في أنابيب ولا يخلو منزل من الماء .

نظام الأسرة : تقوم الاسرة الادكاوية على قاعدة التعاون فالرجل يجد ساعيا في طلب العيش والمرأة تظل بالمنزل تضفر ضفائر الخوص لاعدادها له لعمل المقاطف أو تغزل الحرير على مغزل يسمى (المكب) وترتب الخيوط بعناية فائقة على ملف يسمى (الكوفية)، وتصنع العجوة من البلح ، وتربى الدواجن ، وتخبز الخبز وتؤدى لوازم المنزل ، ويحلو

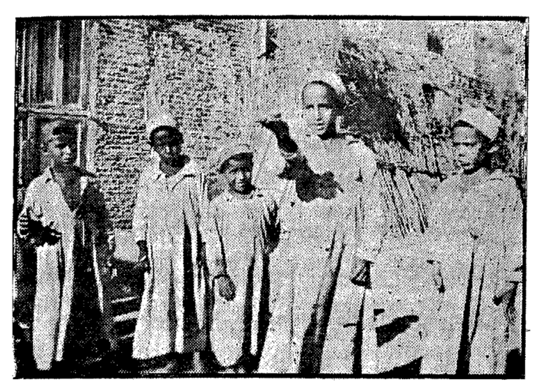
لنا أن نثبت هنـا رأى المستر هربرتسن أستاذ الجغرافيا سابقاً بجامعـة أكسفورد قال : Mode of Life among Fishing Races

The home isfixed, and there the women and children remain while the men are at sea. The women usually carry on a little agriculture, and practise domestic arts. (1)

« نظام المعيشة بين شعوب صيد الأسماك :. . مادام المنزل مستقراً فيبقى النساء والأطفال به حين يكون الرجال فى البحر . ويزاول النساء عادة الزراعة البسيطة ، وبعض الفنون المنزلية . » فالمرأة الادكاوية تزاول بعض الفنون المنزليـة كما قلنـا ، وبتعبير أصح فأن البنت هى التى تهتم بتلك الفنون لا أمها. والمرأة الادكاوية متحجبة يزينها حياؤها وحشمتها ويشينها جهلها وبساطتها، إلا أنها نشيطة فى أداء واجباتها وبخاصة لزوجها مما يؤدى إلى تدعيم نظام الاسرة وبقائها على الحب والاخلاص والتعاون وبالجملة فهى متأخرة ، وسيأتى جيل من تلميذات المدارس فيلقين بهن إلى الوراء ، أما الولد فاذا مشى لعب في الشارع شتى الألعاب التى منها : الخذروف (النحله) وكرة المضرب ، والـكعوب ، والخراطيش، والقوالح وغير ذلك من الحيل ويتمثلون الصيد فيأتون بكرناف النخيل وينصبون عليه قطعة من قماش على هيئة قلع ليمثلوا قاربا يسيرونه على شاطئ البحيرة ولهذه الألعاب مواسم معينة وأغلبها فى الشتاء للتدفئة ، وهـذا يعودهم

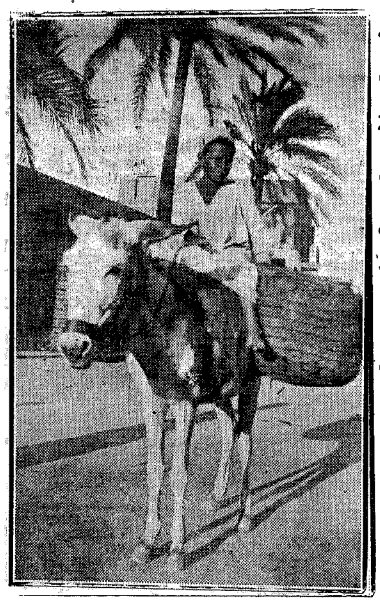
(1) Man And His Work. P. 46. Herbertson.

النشاط ومغالبة الكسل ، وتراهم فى لعبهم جادين غير هازلين ، ويتجلى التنافس البرىء بينهم واضحا ، وتبدو مهارتهم فيها . على أن محور هذه الالعاب هو إصابة المرمى وذلك راجع إلى أن لبيئة الصيد أثرها فى الطفولة



أطفال يلعبون الخذروف

والولد يساعد أباه فى عمله مع احتفاظه بنصيبه من التعليم فيذهب إلى المدرسة الالزامية أو قسم النسيج أو المدرسة الابتدائية . وللاولاد مهارة فى صيد الطيور الصيفية من النخيل ، وصيد السمك من البحيرة ويعتبر هذا العهد بدء الانغمار في كسب العيش فيجد لذة في العمل تحفزه إلى الدأب والنشاط . ومن هنا يبدأ رجولته



طفل يركب حماراً الى الحقل بعد الانصراف من المدرسة

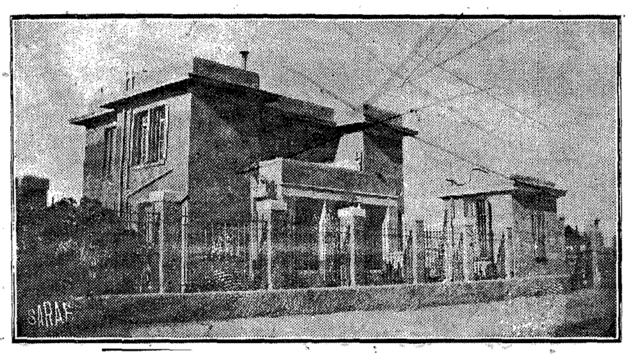
وأما البنت : فأنها مجتهدة تشتغل بتطريز الملابس ، والخياطة ، وصناعة الاسفاط من السعف ، ونسج الشباك ، وتجميل أطراف الشيلان الحريريه بعقد محبوكة دقيقة ، وتتجر في ذلك وفي البيض والعجوة والدواجن وتقتصد ماتبيع به لتساعد أباها في تجهيزها للزواج . ولاتمشى عارية الرأس ، وإنما تلبس المدورة وعليها طرحة وإذا برز نهداها لبست الملاءة السوداء حتى سن العاشرة حيث تحتجب بمنزلها حتى الزواج . والبنت الإدكاوية تشعر من صغرها بالمسئولية عن مستقبلها فلذا تجتهد وتحس فى نفسها بأنها ليست طفلة وإنما ربة دار كما هو الحال فى المرأة اليابانية . وليس فيها تهتك ولا تبرج . وهى على العموم جميلة جمالا جسمانيا لتناسق أعضائها .

كبير الأسرة : ترى مما تقدم أن الاسرة الادكاوية متعاونة أفرادها لتهيئة الأسرة للسعادة بالمساعدة المالية . فليس النشاط إذن مقصوراً على الكبار وإنما يتمثل بوضوح فى الصغار . ورئيس الاسرة أكبرها سنا ، وهو على الرغم من كبر سنه لا يتوانى في العمل متى تيسر له ، فاذا كبر استراح وكان بمثابة مستشار في الزراعة أوالصيد أو الصناعة أوالتجارة

الملبس : يلبس الادكاوى الجلباب ذا الكم الواسع والصدر المفتوح . وعلى رأسه طاقية بيضاء عليها شال أبيض . وبعضهم يضع العمامة ، ومن الغريب أن لكل وضعا خاصا بها . أما الشبان فيستبدلون أحيانا بالشال القطنى آخر حريريا يصنعه الادكاويون . ويلبسون الحذاء المكشوف ليسهل خلعه ولبسه ، أما الملابس الداخلية فتتكون من قميص قطني عليه صدار وسروال واسع . ولابسو الطرابيش لا يزيدون عن ١٥ ٪ ولابسو الحلة الافرنجية من بعد سنة ١٩٢٨ ٢٠ ٪ . وملابس الصيف بيضاء حريرية من صنع الادكاويين ، أما فى الشتاء فسوداء صوفية ويعتمون بكوفية من حرير صينى أو صوف طلبا للدفء . وعلى العموم فالادكاوى لا يشترى إلا الاقمشة المتينة التى تُبيد السنين ولا تَبيد . أما المرأة فتلبس الطرحة على رأسها وملابسها فى حشمة وقد تحلى جيدها بعقد من ذهب ومعصميها بأساور منه وعقبيها بخلخال من فضة وإن كان نادرا جداً . وتضفر شعرها وترسل غدائرها محلاة بالذهب. وحديثا اقتبس النساء أحدث الازياء . أما الأطفال فلا يلبسون

إلا الملابس القطنية الخفيفة و(الطاقية) على رؤوسهم و كثيرا مايلبسونهم أزياء الكبار لينشأوا كبار الهمم . ويمشون حفاة صيفا وشتاء دون عناء
المأكل : من الارياف المجاورة تستورد الحبوب وأهمها القمح والذرة والأرز والشعير والفول ، ويطحنون الغلال فى مطاحن بادكو وتخبز في أفران منازلهم . والخبز الادكاوى من القمح والذرة . والسمك أهم الأغذية . ولا يكثرون من الخضراوات واللحوم واللبن لقلتها ، ومع هذا فالأسواق تستوردها من الجيران وتنحر الذبائح كل اثنين وجمعة . ولايخلو منزل من العجوة وأصناف البلح المجفف فى الشمس أو المشوى فى الفرن . ويعتبر هذا تحية الضيف فضلا عن الشاى غالبا أو القهوة أو الحلوى . ويطبخون على الكوانين ووقود الأفران مايتخلف من تقليم النخيل ومن الاحطاب التى يؤتى بها من أقاصى برك بحيرة إدكو . وحديثا يجلب الاطفال الأعشاب المائية ويجففونها ويحزمونها وتباع الحزمة من عشرة إلى عشرين مليما . وللادكاويين طرق شتى فى طهى الاسماك (المشوى. المقلى. المسلوق. الصيادية . الصوانى .المقالى . مرق أم الخلول) وهم يكثرون من أكل السمك والارز والفسيخ والسردين . ولا يتعاطى الكيوف إلا الصيادون ومنها الشاى والدخان والمعسل (حسن كيف) وعلى العموم فان نسبة المكيفين ١٥ ٪ . ولا يشترى الادكاوى أغذيته الا بالجملة لانه ليس بالموظف المتحقق من مرتبه فينفق بمقتضاه ، ويغلب أن يكون فى المنزل موالح وأغلبها الجبن والقثاء والبطيخ وغيرها

الصحة العامة : الصحة جيدة لان الجفاف يساعد على سرعة الهضم فيلزم لهضم السمك ثلاث ساعات على أن ضعف هذا الزمن فى جهة أخرى لا يكفى لذلك ، وبسبب هذه الصحة يعمر الادكاوى حتى لقد يتخطى المائة . وتكثر حمى الملاريا بسبب المستنقعات الا أنها آخذة فى الزوال تدريجيا بفضل مجهود مصلحة الصحة فقد أنشأت محطة للملاريا فى سنة ١٩٢٦ كانت فى شمال خزان المياه وقد ألحقت فيما بعد بالمستشفى القروى عند تأسيسه سنة ١٩٣٠ ولا تزال مصلحة الصحة تعنى عناية فائقة بابادة الملاريا بكل الطرق من رش المساحيق في المستنقعات وتقايع الحشائش المائية منها ، وصرف برشام الكينين مجاناً وتوزيع (الغاز الوسخ) على المراحيض .



المستشفى القروى . ويرى القارىء لوحة محطة الملاريا

العلاقة الزوجية : علاقة وثيقة قوامها التعاون المنزلى . يتزوج

الشاب دون العشرين والبنت بعـد الثالثـة عشرة . والمهور غالية وتقـام الولائم في أفراح العرس ، وتجمع إدكو شبكة متصلة من الانساب والمصاهرة . وقد يجمع الرجل بين أكثر من زوجة رغبة في زيادة النسل لمساعدته فى كسب العيش ، ويندر قيام شقاق بين الأزواج . ويكثر الزواج فى الأيام التى تلى موسم البلح حيث يكون الادكاوى قد حصل على مبلغ من المال . ولذا فان كلمة (بعد البلح) من وعود المطالبة بالديون . وبادكو مأذونان شرعيـان .

الملكية : لكل أسرة منزلها ، وحقول رملية بها نخيل وكروم ، وبادكو أراض بور تملكها الحكومة ، وللاوقاف بادكو حقول ونخيل ، وامتلك الاهالى تلك الاراضى قديما بوضع اليد ويمتلك بعضهم مصايد الاسماك فى البحيرة كاخلاء اليد منها نظير دفع مبلغ للمحتـل . ومصايد السمانى على ساحل البحر ملك للاهالى . ومنهم من يملك قوارب للصيد في البحر والبحيرة وشباكا . وعنـد كثير من الادكاويين ذهب مكنوز منـذ الحـرب الكبرى بل من قبلهـا بكثير .

موارد الرزق : محدودة وتنحصر فى الصيد والزراعة والصناعة والتجارة والحرف والوظائف واستغلال الاملاك . وسنفصل ذلك فى الناحية الاقتصادية

حكومة إدكو : كانت إدكو فى أيام المماليك يحكمها والى عمله جمع الضرائب وفى عهد محمـد على كان يحكمها (شيخ) وأول شيخ حكم إدكو فى زمن محمد على هو فرحان سفار ثم احمد سفار ثم الحاج ابراهيم قاسم ثم الحاج

حسن عيد ريشه ، وبعد ذلك قسمت إدكو بين مشايخ أربعـة يرأسهم (شيخ المشايخ) وهو محمـد مدره ومنذ ٦٠ سنة عين أول عمـدة على إدكو وهو الحاج على عبد النبى ثم الحاج اسماعيل على عبد النبى ثم محمد احمد قاسم ثم عبد الوهاب محمد زيتون ثم حسن على زيتون ثم الحاج محمد على عبد النبى ثم الحاج احمد محمد قاسم وهو العمدة الحالى من سنة ١٩١٦ ويعاون العمدة أربعة مشايخ من أعيان إدكو . وفي سنـة ١٩٣٠ أنشئت بادكو (نقطة بوليس) يرأسها ملازم أول ، وعلى هذا فان حكم إدكو موزع بين العمدة وضابط البوليس يعاونهما المشايخ الاربعة وبادكو ٣٠ غفـيراً ، و٦ شرط و ٤ فرسان . والامن في إدكو مستتب ، ومن النادر إن لم يكن من الشاذ أن نسمع بحادث قتل إلا إذا استثنينا حوادث عائلتى (برمو) و (شميس) في سنة ١٩٣٧ وإن كان ذلك يرجع إلى ضغائن متأصلة فى النفوس ، ولقد توترت أعصاب إدكو وأرهفت الاسماع متتبعة مآل حوادث القتل هذه التى صارت محل سخط الاهالى .

التقـاضى : ينفر الادكاوى من التقاضى فى المحاكم خوفا من المصاريف . ولذا يلجأ إلى البوليس أو العمدة أحيانا أو مشايخ البلد أو أحد الاعيان المعروفين بالنزاهة . ويغلب أن يتم الصلح فى النهاية . عـلى أن كثيراً يلجأون إلى محكمة رشيد فى المسائل الهامة .

مصالح الحكومة : بادكو مصالح حكومية كثيرة وهى :

محطة السكة الحديد سنة ١٨٧٦ موظفوها ٢١

مصلحة خفر السواحل والمصايد	سنة ١٨٩٠	موظفوها	٣٥
مكتب بريد (درجة أولى)	« ١٨٨٠	»	٠٣
المدرسة الاولية (للبنين)	« ١٩١٤	»	١٣
« الالزامية (للبنات)	« ١٩٢٤	»	٠٦
« « (للبنين)	« ١٩٢٦	»	٠٧
« الابتدائية («)	« ١٩٣٢	»	٠٨
قسم النسيج والسجاد	« ١٩٣٠	»	٠٣
المستشفى القروى	« ١٩٣٠	»	٠٦
محطة الملاريا	« ١٩٢٦	»	٠٣
نقطـــــة البوليس	« ١٩٣٠	»	١٣
الخفراء وصراف	———	»	٣٠
المجلس المحـــــلى	« ١٩٢٩	»	٣٠

فيكون عدد الموظفين ١٨٠ وللادكاويين من الوظائف في هذه المصالح نسبة ٣٥ ٪ على أن باب الوظائف لا يزال مفتوحاً أمامهم .

بلدية إدكو: في سنة ١٩٢٩ وصلت مياه الشرب المرشحة إلى إدكو في أنابيب من طلمبات البوصيلى . وكانت عملية التوصيل منحة للاهالى . وفى سنة ١٩٣٢ تكونت (لجنة تنظيم) لادكو . وفى سنة ١٩٣٥ تم تكوين (مجلس ادكو المحلى) وأعضاؤه أربعة من الاعيان يرأسهم مدير البحيرة وتقدر ميزانيته بأربعة آلاف جنيه . وتتلخص أعمال المجلس فيما يلى :

١ ـ فرض ضرائب على الممولين بنسبة ٥٠ ٪ من اجور الحفر

٢ ـ « « « ما كينات الطحين ومضارب الارز وعربات النقل المحليـة وشوادر الاخشاب ووكـالات الخضـار ومراكب الصيـد وأنوال النسيج وأشغال الطرق ومصنع الثلج .

٣ ـ تحصيل أثمـان المياه بسعر المتر المـكعب ٢٠ مليما .

٤ ـ تنظيم ادكو : بانارة الشوارع وكنسها ورشها وتعيين الموظفين لذلك .

ولا شك أن إيجـاد هذا المجلس فى ادكو سابق لأوانه لأنهـا لمـا يتحسن حالها بعد وعلى كل حال فانه لا زال في نشأته ويرجي على يديه مستقبل باهر ولا سيما بعد حفر ترعة ادكو حيث تزداد مرافق الحياة فتتحسن الحالة فيعمد المجلس الى الانشاء والاصلاح .

الناحية الاقتصادية

ونقصد بذلك أعمال السكان التى تنحصر فى الصيد والزراعة والصناعة والتجـارة والحرف . ومما تغبط عليـه ادكو ألا يوجد فيها عاطل ولا متسول ، فان افراد الاسرة ـ كما أسلفنا ـ كلهم متعاونون فى سد حاجياتها فالرجل والمرأة والولد والبنت حتى الرجل الـكهل تراهم جميعا جادين فى العمل بلا كسل . وكـثيراً ما يجمع الرجل بين أكـثر من حـرفتين بل غالبا مايشتغل بكل عمل من الاعمال السابقة وما ذلك الا تلافيـا للبؤس واجتهادا فى كسب القوت دون تكبر أو تكاسل .

وتقدر نسبه الصيادين ٣٠ ٪ من عدد الذكور ، ونسبة الزراع ١٥ ٪ والتجار ٢٥ ٪ والصناع ١٠ ٪ وأصحاب الحرف ٢٠ ٪

الصيد

تكاد تكون إدكو أظهر مثال لبيئة الصيد نظرا لموقعها بين البحر والبحيرة ويبلغ عدد الصيادين ٤٥٠٠ موزعين كالآتى :

صيادو البحيرة	=	٢٠٠٠ رجلا	،	١٠٠٠ ولدا
« البحر	=	٨٠٠ «	،	١٠٠ «
« أم الخلول	=	٢٥٠ «	،	—
« الطيور	=	١٥٠ «	،	٢٥٠ «

موارد الصيد :

ثلاثه: البحيرة. البحر البر . فمن البحيرة تصاد الاسماك والطيور الشتوية . ومن البحر الأسماك وأم الخلول . ومن البر الطيور الصيفية .

عودة الصيادين من البحيرة

دخل الصياد في اليـــوم : وذلك باعتبار أيام الرخاء

ا ـ صياد البحـــيرة :

١ ـ بالشباك ١٠ ص ٢ ـ بالسنار ١٥ ص ٣ ـ بالجوابى ٢٠ ص

ب ـ صياد البحر : من ٢٠ ص إلى ٣٠ ص

جـ ـ « الطيـــور البحـــرية من ٢٠ ص إلى ٣٠ ص

د ـ « « البريه « ٥ « ٢٠

ولا يحسد الصياد على هذا الدخل اليومى فانه موسمى وينفق منه طول عامه. ويقدر مايصدر من إدكو من السمك في اليوم بمبلغ ٧٠٠ جنيه . (وكان نصيب الصياد الواحد ١٩٠٨ كيلو جراما من السمك في سنة ١٩٣٤ إلى ٣٠٠٦ كيلو جراما في سنة ١٩٣٥) (١)

أوقات الصيد : صيفا وشتاء ليلا ونهارا . يشتغلون ستة أيام في الأسبوع . ويوم الجمعة راحة وتحصيل نقود من التجار . وتبتدىء الأنواء من نصف نوفمبر إلى فبراير من كل عام . على أن هذا لايمنع الصياد من العمل بل هذا هو أمله الذى يبتغيه حيث يخاطر بروحه في البحر وبذلك يرتفع سعر السمك .

طرق الصيد

١ صيد الأسماك :

١ ـ الشباك الخيطية : وهى على أنواع بحسب نوع السمك ومكان

(١) تقرير الدكتور حسين فوزى مدير أبحاث المصائد

صيده ومنها الطاقم والنشه والطراحة والشبكة والجرافة والشرك وعدة المصرف والفراد والكنف

٢ ـ الشباك السلكية : الجوبية (أسطوانة طولها متر مسدودة من طرف وفي الطرف الثاني مخروط رأسه في الداخل ومفتوح) الشلب (لخزن الاسماك) ، القفص (للقراميط) .

٣ ـ السنار : الكبير (للقاروص والبورى)، سنار ناتوف ، سنار بالبوصة

أما أسماك البحر فلا يستعملها إلا الشباك الطويلة المتينة والسنار الكبير فى الحبال .

٢ ـ صيد الطيور :

١ ـ البندقية : تستعمل فى صيد طيور البحيرة وطيور البر

٢ ـ الشراك : تنصب الشراك على بعد مائتى متر من شاطئ البحر . وتعد للصيد من الساعة الثالثة قبل الفجر حتى الساعة التاسعة وأهم صيدها السمانى

٣ ـ الزرد . بوصة طويلة مرنة ومدببة الطرف فى نهايتها زرد من سعفة توضع في عنق الطائر بحرص شديد ثم يشد .

٤ ـ الشباك : وتستعمل فى صيد طيور البحيرة ، وتطرح أحيانا على الاعشاب البرية لصيد الطيور من الحقول .

القوارب : بالبحيرة ما يزيد على ألف قارب وتصنع من الخشب ، وهى على أنواع منها : فلوكه إجريجى ، وتسقارى ، وقفشه ومكارى ، وقارب وزهرية أو (لوتسو)

ضريبة الصيد : على قارب الصيد أربعة جنيهات سنوية مقسطة على أشهر السنة. أما قارب الركاب فيدفع جنيهين. ويدفع حامل البندقية ١٢٠ قرشا.
مصلحة خفر السواحل ومصايد الأسماك : بادكو مكتب تابع لهذه المصلحة به نحو ثلاثين عسكريا وبه كاتبان وصول يرأسهم ضابط.

أولا : البحيرة

مساحتها ٣٨ ألف فدان. ويفصلها عن البحر كثبان رملية تأخذ في الاتساع. وتتصل البحيرة بالبحر عند المعدية بواسطه بوغاز المعدية.
مياههـا. في الصيف تصب مصارف مديرية البحيرة في بحيرة إدكو فتمتلىء البحيرة وبذلك يرتفع منسوبها عن منسوب سطح البحر فتتدفق مياهها إليه بواسطة البوغاز المذكور. أما في الشتاء فينخفض منسوبها عن سطح البحر فتتدفق مياهه إليها. وعلى ذلك فماء البحيرة مزيج من ماء البحر وماء النيل ويسمى هذا النوع من المياه (ماء شروب Brackish water) وتنمو بها الحشائش المائية مثل البردى والحجنة والحامول. ويرعى البقر والجاموس بعض هذه الأعشاب. وحديثا تقطع للوقود ولبناء الأكواخ. والبحيرة تابعة لمصلحة خفر السواحل منذ ٣٥ سنة بعد أن كانت تؤجرها الحكومة للأجانب مثل (الخواجه أنجليطو) ،

أسماك البحيرة

أنواعها. لما كانت مياه البحيرة مزيجا من النيل والبحر فان أسماكها

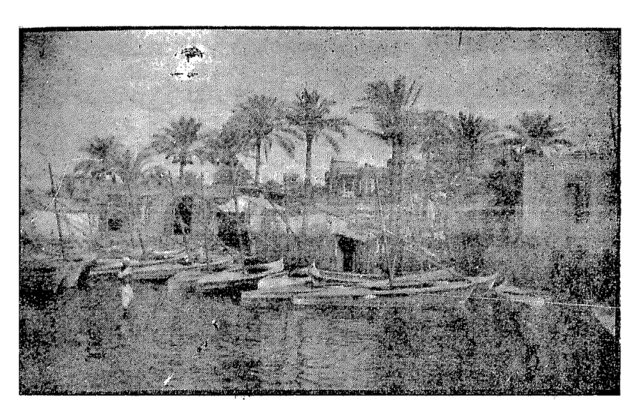
كذلك نيلية بحرية ومن الأسماك النيلية . ثعبان . قرموط . بلطى . شال (زقزوق) . سقساق . قشر (حمار) . صير . عضاض . بنى . لبيس . شلبه . ومن الاسماك البحرية . قاروص . بورى . طوبار . سفوليا . جران . لوت . نقط . زنقارى .

تربيتها . وتعتبر البحيرة (منطقة غذاء Feeding Ground) و (منطقة إفراخ Spawning Ground) ، وتلقى مصلحة السواحل ببحيرة إدكو كل عام ٨ مليون زريعة Fry معظمها من أسماك بحرية مثل البورى والطوبار والقاروص والسفوليا وغيرها تتربى فى البحيرة وتتغذى بالحشائش المائية وصغار الاسماك والبعوض حتى تكبر . مع ملاحظة أن الأسماك النيلية تتربى فى المياه الأكثر عذوبة من غيرها ولذا فانها تكثر عند فتحات المصارف وتتغذى هناك وتتوالد . أما الاسماك البحرية فانها تقرب من المياه الاكثر ملوحة . ولذا تكثر قرب بوغاز المعدية . وعلى ذلك اشتهرت إدكو بالاسماك النيلية واشتهرت المعدية بالاسماك البحرية

وتعتبر الاشهر الافرنجية المحتوية على حرف (ر) أحسن مواعيد لاكل السمك وتنحصر مابين سبتمبر وإبريل وما عدا ذلك تكون في طور الهزال .

توالدها : إذا اكتملت السمكة نموها الطبيعي يتكون فى بطنها البطروخ فى الذكر والانثى على السواء إلا أن بطروخ الانثى أصفر أو أحمر يمكن عد حبيباته بعكس بطروخ الذكر فانه أبيض لا يمكن عد حبيباته . وبعد مدة معينة وتحت درجة حرارة خاصة وعوامل طبيعية أخرى لاداعى

لذكرها تلقى الانثى على دفعات حبيباتها التي تخرج من الفتحة التناسلية التي في بطنها وحينئذ يلقى الذكر بأعضاء التذكير فتلقح أعضاء التأنيث وتأخذ في النمو حتى تعود سيرتهـا الاولى . وعلى ذلك فالتلقيح يكون خارج السمكة ولا يكون بالبيخ كما نزعم . ومما هو جدير بالذكر أن الاسماك البحرية حينما يكتمل نمو البطروخ فيها تجد نفسها متجهة في التيار إلى البوغاز بدافع غريزى ولا يمكن أن تلقى ببويضاتها إلا في البحر . وهذا هو السر في فتح بوغاز المعدية كل عام ، أما إذا فرض أن السمكة لم تتمكن من الخروج إلى البوغاز فان بطروخها يأخذ في الانكماش ويحدث للسمكة عقم • ويخرج البورى من البحيرة إلى البحر في يونية ويولية وأغسطس • أما الطـوبار فيخرج في اكتوبر ونوفمـبر وديسمبر • أما القاروص والسفوليا فانهما يخرجان في ديسمبر ويناير وفـبراير •



منظر القوارب راسية على شاطىء البحيرة

إحصاءات عامة عن البحيرة : من تقرير الدكتور حسين فوزى مدير أبحاث المصايد :

ارتفع محصول بحيرة إدكو من ٣٩٨٧ طنا فى سنة ١٩٣٢ إلى ٦٧٦٠ طنا في سنة ١٩٣٣ ولكن انخفض في سنة ١٩٣٥ من ٦٤٤٥ طنا إلى ٣٧٦١ طنا في سنة ١٩٣٦ . وقد زاد إيراد الحكومة من ٣٦٣٨ جنيها في سنة ١٩٣٢ إلى ٣٧٨٢ جنيها في سنة ١٩٣٣ ونقص من ٤٠١٤ جنيها في سنة ١٩٣٤ إلى ٣٦١٦ جنيها في سنة ١٩٣٥ وعلى العموم (فان هذه البحيرة تحتفظ منذ سنة ١٩٢٨ بمرتبتها الأولى بين البحيرات باعتبار إنتاج الفدان الواحد) (١)

وتلقى مصلحة خفر السواحل فى البحيرة سنويا ٥٪ مايلقى فى جميع البحيرات.

طيور البحيرة

ببحيرة إدكو كثير من الطيور المائية التى تعيش في الأعشاب المتناثرة في أنحائها أنواعها : الغر . الحمران . البجع . الوب . البشاروش . القل . البلبول . الزرق . الشرشير . البغيل . الحمام السماكى. النورس . الظى . السركيس الحناش . الخضارى الديوك . فراخ بردى . الواق . الشوبم . الشهرمان الونس . الودواس . العجاج . اللقاط . الغرنوق . أبو طيرو . الخنفور . القراش . ننقل هذه الاسماء عن الصيادين .

رحلتها : ونقول إن هذه الطيور ترحل عن بلادها (جنوب وشرق

(١) تقرير الدكتور فوزى فى اهرام ٣٠ يوليو سنة ١٩٣٦

أوروبا) مثل البلقان والمجر ورومانيا وبلغاريا وبولونيا . في فصل الخريف سميا وراء الرزق حيث تكون قد أفرخت وكثرت فراخها فتدفعها الرياح الشمالية والشمالية الشرقية إلى الجنوب فتعبر البحر الابيض المتوسط فى أسراب تأخذ في طيرانها أقصى علو فتحط بتلك الأعشاب منهوكة القوى وتتغذى بما تيسر لها من أسماك ونباتات فتصاد في أواخر الخريف حتى أواخر الشتاء وبعد ذلك ترحل الى بلادها .

صيدها : وتصاد هذه الطيور الجميلة الألوان إما بالبنادق فيخرجون فى قوارب ويلقون بأشكال خشبية تشبه الطيور تماما فتطفو على سطح الماء فتحط عليها الطيور وهنا يهاجمها الصيادون بالبنادق وحينئذ يعوم أحدهم على القرع المجفف حتى يجمع ما أصيب من الطيور ويذبحه . وبعضهم يصيد الطيور حية وذلك بالشباك التى يطرحونها عليها .

ثانيا : البحر

الأسماك : يصاد من البحر أنواع شتى من الاسماك التى أهمها جميعا السردين الذى ينتظرونه كل صيف ويعلقون على صيده جميع آمالهم فضلا عن الاسماك الضخمة من القاروص والمحرات والبورى والترسة والسيوف وأبو جامبو والجنبرى والمياس والشخورة . وتصاد أم الخلول بآلة خاصة فى فصل الصيف .

الطيور : على بعد مائتى متر من شاطئ البحر تنصب الشباك للطيور التى أهمها السمانى والقمرى وأنواع شتى من العصافير .



الصيادون فى البحر

رحلة السمانى : يفرخ السمان فى فصل الشتاء فى تركيا وجنوب سيبريا وبولونيا والروسيا ثم يجد فى طلب جو مناسب له فتدفعه الرياح فيصل الى سواحل مصر الشمالية فى سبتمبر وأكتوبر على أنه يبدأ رحلته من بلاده ليلا ويقطع البحر الابيض المتوسط فى ثمانى ساعات أى فى الوقت الذى تقطعه الطيارة حين تقطعه الباخرة فى يومين . وفى الفجر يصل الى الشواطئ منهوك القوى فيضرب فى الشباك المنصوبة ولا يستطيع خلاصا منها . أما الطيور التى تخطئ الشباك فانها تأخذ طريقها الى أواسط افريقية وهناك تفرخ وتتكاثر وتتغذى ثم تعود فى الربيع شمالا وتحط بكثرة فى الجهات الزراعية مثل مريوط حيث يكثر الشعير .

الزراعة

قديما وحديثا : لاشك أن الزراعة في إدكو قديما كانت في المرتبة الأولى لامداد الاراضي بمياه النيل ، أما الآن فهي مجرد احتيال على تسخير التربة ، واستكمال لموارد الرزق المحدودة وذلك أدعى إلى النشاط والعمل .

الاراضي الزراعية : كلها رمال تبلغ ٢٤ ألف فدان علاوة على ٦ آلاف فدان بور (ملاحات) ستصلح قريبا حين يصل النيل إليها .

طرق الري : الامطار · المضخات · الآبار · الطواحين ·

السماد : زبل الحمام لاغير .

أثر المناخ : لما كان المناخ نادر التقلب الفجائي ، فان المزروعات سليمة من الامراض النباتية ، والجفاف السائد في معظم أيام الزرع يسبب النضج مبكرا ، وعلى الحرارة يتوقف النضج ، وعلى الامطار يتوقف النمو ، لذا وجب أن يكون الفلاح الادكاوي بصيرا بحالة الجو .

المزروعات : النخيل · الكروم · البطيخ · القثاء · القاون · الجوافة · الطماطم · القرع · التين ·

الآلات الزراعية : لازالت قديمة · وتستعمل المسحاة في حفر الرمال . أما باقي الآلات فتختص بالنخيل وهي :

١ ـ النطاق : (الحزام) يصنع من الليف ويصعد به النخلة ·

٢ ـ المسيف : قضيب من صلب طوله نصف متر يدق طرفه ويثنى

ويسن . ويلف حوله حبل من ليف كمقبض. ويقلم به النخل مرتين فى العام .
٣ ـ المحجم : (الحجامة) مدية مقوسة مشرشرة يقلم بها الجريد الصغير.
٤ ـ الفأس : له طرفان أفقى ورأسى تعزق به جذور النخلة لنقلها .
٥ ـ الحبل : غليظ تشد به النخلة لاخراجها .

النخيـــــل

عددها . بادكو ٣٠٠ ألف نخلة موزعة كالآتى .

٢٥ ٪ زغلول ، ٢٥ ٪ سمانى ، ٥٠ ٪ مختلف .

أنواعها . زغلول ، سمانى ، حلاوى ، مدره ، حلاوى شتية ، حلاوى غول ، حيانى ، بنت عيشه ، عرابى ، براوية ، برباره ، بداره ، زناده ، كبية ، حوشية ، أم الفراخ ، مقطف ، سيوية ، قبوطية ، برلسية ، شقعة نصر الدين، عمرى ، جبانه ، راقده ، حمل فاظلى ، نماسى، صوابع زينب ، أمهات ، زيتية ، مجهلة الرجال ، نميرى ، نوايه (بنت الصفراء) .

تاريخ الزغلول . يسمى فى بلاد الحجاز (الشلبى) ، وقد زرع بادكو منذ مائة سنة فقط ، وكانت الكروم تزرع بكثرة فى ادكو . فلما زرع الزغلول قضى على الكروم شيئا فشيئا . ويقال إن ادكاويا اسمه (زغلول) جلب هذه النخلة من بلاد الحجاز من بلدتى (الحمراء) و (الصفراء) المجاورتين للمدينة المنورة . أما السمانى فانه أقدم من الزغلول فى ادكو وجلب اليها من البلدتين الحجازيتين السابقتين ويسمى هناك (السكرى)

زراعة النخيل . فى الرمال وتروى بالمطر شتاء وتثمر النخلة مرة فى السنة

وتظهر ثمرتها فى ابريل ويسمى (الطلع) وبعد أسبوع من ظهور الطلع ينشق عن (بسر) يمكث بضعة أيام ثم يلقح بأعضاء التذكير . وينمو البسر حتى يساقط منه (الرميخ) ويتم النضج فى اكتوبر . وتربط السباطة إلى الجريد وتتدلى . أما الزغلول فانه مرن يتحمل السباطه فلا يربط البلحة . الزغلول بلحته حمراء زاهية من ٥ الى ٦ سنتى . والزغلول أغلى من غيره لكثرة سكره . أما السمانى فبلحته صفراء بها نقط حمراء دقيقة متناثرة ، وهى منتفخة من أعلى ومدببة نوعا ما من أسفل ، أما الأنواع الأخرى فتختلف بين الأحمر والأصفر والغليظ والرفيع ، ويبلغ عدد النخيل المثمر في إدكو ١٥٠ ألف بالنسبة السابقة .
وينتج الزغلول من قنطارين إلى خمسة ، والسمانى من خمسة إلى سبعة وثمن قنطار الزغلول ٣٦ قرشا وقنطار السمانى ٣٠ ومن المختلف ١٥ .
وتصدر إدكو بلحا في السنة بما قيمته عشرة ١٠ آلاف جنيه .

فوائد النخلة :

١ ـ البلح : يؤكل ويصدر وتصنع منه العجوة والمربى وقد يجفف ثم يغلى فيشرب ماؤه الحلو اللذيذ .
٢ ـ الجريد : لعمل الأكواخ التى يسكنها الادكاويون صيفا
٣ ـ السعف : لعمل المقاطف ، والاسفاط للخبز
٤ ـ الغصن : بعد تجريد الجريدة يتبقى عصا تصنع منها الاقفاص .
٥ ـ الليف : للاستحمام إذا كان أبيض وما دون ذلك يعمل

حبـالا ومقابض للمقاطف .

٦ ـ الجـذع : كان يتخذ لسقوف المنازل قديما، والآن يستخدم للوقود وعرائش الكروم .

٧ ـ العرجون : بعد انحسار البلح عنه يستخدم مكنسة ، أو يشق وتعمل أليافه حبالا رفيعة تخاط بها المقاطف

٨ ـ الجمار : وقد لا يكون للفسيل الصغير جذور فلا يصلح للغرس فيؤكل الجمار .

٩ ـ الفسيل : يصدر من إدكو سنويا عشرة آلاف من فسائل النخيل .

١٠ ـ وتعتبر النخلة حداً في الأراضى الرملية ، وتلطف من الحرارة صيفا .

الكروم

كانت منتشرة بادكو فى أراضى بحيرتها ثم طغت عليها النخيل ولكن منذ عشر سنين أخذت تستعيد مجدها وبادكو أكثر من ١٠٠ ألف كرمة أنواعها . البرلسى . التفاحى (التركى) . سنكواى . ريفى . بناتى مسكات . بز الناقة .

زراعتها : تزرع الكرمة غالبا مكان نخلة سامقة اجتثت من فوق الأرض مما يسهل على الكرمة أن تمد جذورها إلى الأعماق . تزرع في الربيع ويتم نضجها في أغسطس وسبتمبر حيث الحرارة والجفاف ويتأخر التركى إلى نوفمبر. وتغل الكرمة من قنطار إلى ثلاثة ويصدر منه سنويا بما قيمته ٣٠٠ ثلثمائة ألف جنيه .

البطيـــــخ

ذكر المسعودى أن البطيخ حمل من الهند بعد ٣٠٠ سنة من الهجرة وزرع بعمان ثم نقل إلى البصرة والعراق والشام ثم نقل إلي مصر فكان أول زراعته بأراضى الدلتا ـ وتتوقف زراعته بادكو على المطر الغزير زراعته : فى شهر يناير تجهز الارض على أحواض طول الواحد عشرون متراً ضيق من أسفل ومنفرج من أعلى ويقسم الحوض إلى (بيوت) حيث تزرع البذور فاذا نبتت أطعمت واقتصر على القليل منها ثم يطعم مرة ثانية . وتظهر الزهرة بعد ٩٠ يوما من زرعه . ويوضع القش للنبات يتسلق عليه متخذا شكل ٧ . وينضج في يونية ويوليه ويتفق القاون والبطيخ فى زراعته وكذلك القثاء إلا أنها مبكرة . ويمتاز البطيخ الادكاوى بشدة حلاوته وامتلائه وقد يعلق أحدهم بضع بطيخات في سقف منزله وتستمر سبعة أشهر وأكثر دون عطب .

ومن أنواع البطيخ : أبو ماضى . برلسى . أم عبدالله . عريشى روبينى . يافاوى . مكاوى . قراريطى . حاجة . زرقة .

ومن القاون : مانصه . تركى . فاطمة . سنكواى . أزمير . رأس العبد ماصه . أبو الغيط (شمام) . بسوسى . سنطاوى . شهد . برلسى . دوميرى .

ومن القثاء : شامى . عبداللاوى . فاقوس . خضراء . عجور . ويصدر من إدكو بطيخ وقاون وقثاء بما قيمته ستمائة جنيه سنويا

جاب من فرنسا وايطاليا وملطة ومن أنواعه مايسمى (كاكا) . و (مرسيليا) و(مالطى) و(ايطالى)· ونظام الارض فى زراعته كسابقه فى البطيخ إلا أنه تشتل بذوره ثم تنقل إلى الاحواص فى أكتوبر ويروى بماء العيون والمطر ويطعم . ويثمر في فبراير ويظل حتى أوائل يونيه . ويمتاز الطماطم الادكاوى بأنه أقرب من الفاكهة منه إلى الخضراوات لشدة حلاوته ولذا يكثر عليه الاقبال في الاسواق الداخلية والخارجية ومحصوله وفير مالم تصبه الامراض التى أهمها الشال· ويتوقف إنتاجه على الامطار وهناك عامل في قلته وهو كثرة الاراضى المنزرعة نخيلا فانها تطغى عليه ولا يستوى النخل والطماطم . ويصدر من منتصف فبراير إلى يونية ويقدر مايصدر منه أسبوعيا بأربعمائة من الجنيهات .

التين : قديم بادكو وهو نوعان الابيض والاحمر وكلاهما لذيذ الطعم شديد الحلاوة وهو آخذ فى التقدم منذ عشر سنين وهو يصدر ولكن بكمية لاتذكر .

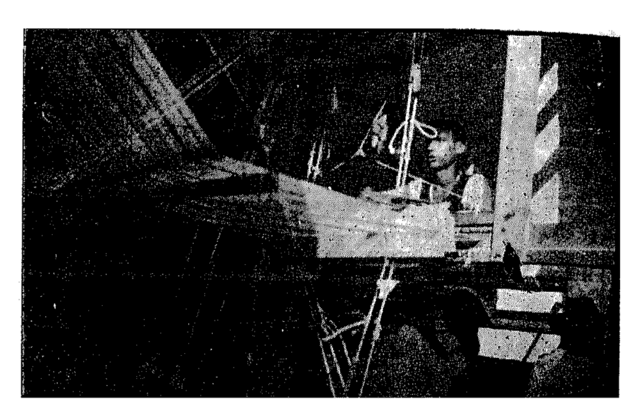
الجوافة : منذ خمسة عشر عاما تطلع الادكاويون إلى جهات المندره وقلدوهم في زراعة الجوافة فنجحت نجاحا باهرا . وأنتجت غلة وفيرة فأكثروا منها وعلى العموم فلا زالت إدكو حديثة عهد بالجوافة .

أنواع الفاكهة الاخرى: وكثيراً مايزرع الادكاويون في حدائق منازلهم بعد أن وصلت مياه الشرب المرشحـــة الموز والرمان والقشده

والبرتقال والزيتون واليوسفى والليمون، وهذا برهان ساطع على حسن استعداد أراضى إدكو لزراعة الفاكهة ؛ وتمتاز جميع نباتاتها بوفرة سكرها، وقد لا نغلو في القول بأن ماتنبت أراضى إدكو حلو ولو كان في غيرها مراً.

الصناعة

١ ـ النسيج : بادكو ألف نول يدوى قديم يدار بالمكوك (الوشيعة) وله قبقابان أو أكثر يداس عليهما، وحديثا عرف نول (القمشة) فوفر على الصانع وقتا طويلا. وتوجد هذه الأنوال فى المنازل والمصانع (القاعات). ويبلغ عدد الصناع ألفا فضلا عن الأولاد والنساء. ومن المنسوجات الادكاوية : ملاءات الفلاحات (الملس)، الكوفيات (اللاسات والشيلان الجريرية)، المناديل. ملاءات الأسرة. المناشف. الاقمشة الحريرية البيضاء للبدل والجلابيب. والقمصان وينسجون كذلك الملابس الصوفية. والألاج، ويستوردون الحرير من اليابان والصين والشام وإيطاليا وسويسرا وفرنسا وانجلترا عن طريق تجار القاهرة. والقطن من شركة مصر لغزل ونسج القطن. ويشتد الاقبال على المنسوجات الادكاوية لمتانتها وقوة حبكها وخلوها من الغش.



ادكاوى ينسج ملابسه على نوله

٢ ـ الأنوال : تصنع أنوال النسيج من خشب الزان . ومنذ ثلاث سنين عرف النجارون الادكاويون أجزاء (القمشة) التى أدخلها (الحاج محمد الحسامي الشامى) فصنعوها فانتشرت . ويصنع المكوك (الوشيعة) من خشب السنديان أو من العظم بدقة وعناية .

٣ ـ أمشاط النسيج : من قشر الغاب . وهى صنعة دقيقة وعليها يتوقف النسيج وحبكه .

٤ ـ الصباغة : بادكو أربع مصابغ لصبغ الملس بالسواد وتلوين الخيوط بشتى الألوان. وتستورد (النيلة) من الهند والإصباغ الاخرى من انجلترا

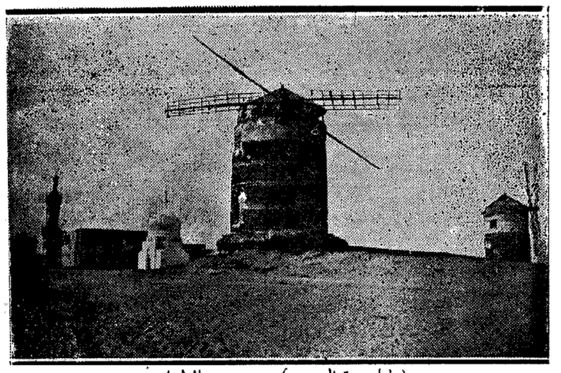
٥ ـ القوارب . من الخشب . وتصنع على شاطئى البحيرة والبحر .

٦ ـ الشباك : من الخيوط القطنية وتقوم بها البنات والنساء .

٧ ـ الثلج : بادكو مصنع أجنبى مكسيكى ينتج فى اليوم خمسمائة بلاطة من الثلج الذى يوضع على الأسماك عند تصديرها .

٨ ـ تمليح الأسماك : يملح السمك الفاخر ويباع فى الأسواق باسم (الفسيخ البلدى) وكذلك السردين والبطارخ .

٩ ـ طحن الغلال : كان بشمال إدكو قديما طواحين هوائيـة آلاتهـا خشبية وبناؤها على النظام الهولندى على التل المسمى (كوم الطواحين) نسبة لعدد الطواحين السبع التى كانت عليه . ثم صنعت آلات الطواحين من الحديد وأديرت بقوة الريح .



(طاحونة الزمن) على كوم الطواحين

والآن توجد عشر ١٠ ماكينات تدار بقوة البترول ويطحن بهـا يوميا مالا يقـل عن مائتى إردب من القمح والذرة والشعير .

١٠ ـ تبييض الأرز. يشترى الادكاويون الارز الشعير ويبيضونه (أى يزيلون قشره ويكسبونه بياضه) فى ماكينات ملحقة بآلات الطحن السابقة
١١ ـ المقاطف. والقفف من سعف النخيل وليفه . وتكاد تكون هذه الصنعة مقصورة على الزراع الذين يقضون معظم أوقات فراغهم فيها .
١٢ ـ الاقفاص . من جريد النخيل . وتستعمل فى تعبئة الطماطم والعنب وغيرها
١٣ ـ الاسفاط . من السعف الابيض الذى فى قلب النخلة . وتقوم البنات بصنعها . وتستعمل للخبز عند تقديمه على المائدة . وقد تصنع من حشائش الحقول الطويلة المسماة (الشرمى) وهى أوراق سيفية للبوص الذى ينمو على الامطار .
١٤ ـ الحبال . من ليف النخيل . وهى متينة يعمل منها (الحزام) الذى تصعد به النخلة ومقابض للقفف . ولها فوائد اخرى
١٥ ـ البرادع . من القش والخيش للحمير والجمال . والبردعة الادكاوية زينة كل حمار . وقد اختصت عائلة (دويب) بهذه الصنعة
١٦ ـ العجوة . من البلح . وهى على درجات حسب نظافتها وتنقيتها من قشر البلح حتى تصير بلون الكهرمان وقد تصنع على شكل أقراص وتمزج بالحمص أو السمسم . وتؤكل فى الفطائر وما ألذ طعمها . قال الشاعر الادكاوى

وإذا نسيت فاست أنـ . . سى عجـوة بالسمسم
(حواء) ماظفرت بها . . أو ذاقها فم (آدم)

١٧ ـ تجفيف البلح . يجفف البلح في الشمس أو يشوى فى الفرن . ويخزن فى أوانى من الفخار ويعتبر فاكهة . ويهدى به ويقدم للضيوف .

١٨ـ الاثاث . تفنن النجارون الادكاويون وابتكروا أشكالا جميلة لاثاث المنزل. وسوف لاتحتاج إدكو بعد اليوم إلى شراء الاثاث من الاسكندرية مادامت هذه الصنعة دقيقة ومتقنة ومتينة .

١٩ ـ الحصر : من حشائش البحيرة (البردى) وتستعمل للف النخيل بها عند التصدير . وأحيانا تنشر عليها العجوة والبلح عند صنعها .

٢٠ ـ الحقائب . من الجلد . وقام بهذه الصناعة شاب إدكاوى نشيط حصل على دبلوم الصنائع فى قسم الجلود ويصنع حقائب السفر وحقائب اليد للرجال والنساء وغيرها من أنواع الجلود .

التجارة

أثر الموقع : تقع إدكو بين البحر والبحيرة . وبين مدينتى رشيد والاسكندرية . والادكاوى يحب الرحيل إلى شتى البلاد متاجرا مما يكسبه خبرة ودراية بالأمور . ولذا امتازت طبقة التجار بالذكاء واللباقة والغنى عن غيرهم .

طرق المواصلات : قبل ٩٠ سنة كانت طرق المواصلات :

١ ـ القوارب : في البحر من رشيد إلى الاسكندرية مارة بادكو وأبى قير ـ وكذلك فى البحر من إدكو إلى أطراف البحيرة فتصل مركز رشيد بمركزى أبى حمص وكفر الدوار . ومن إدكو إلى المعدية

٢ ـ الدواب : الخيول والبغال والحمير التى تقطع المسافة إلى رشيد

فى ساعتين معرضة للذئاب واللصوص ، وإلى الاسكندرية بعد عبر بوغاز المعدية بالقوارب فى ست ساعات .

٣ ـ الأقدام : وكثيرا ما كان أجدادنا يسافرون على الأقدام .

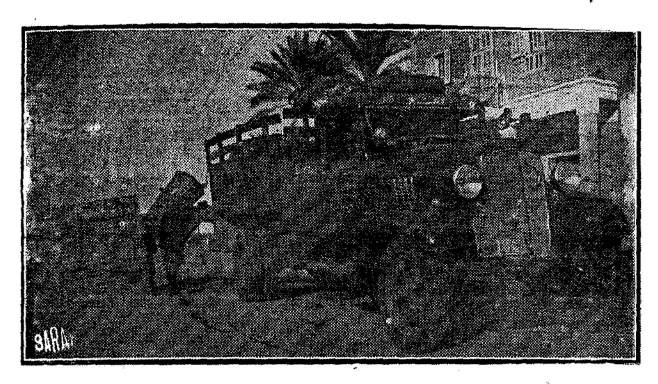
أما طرق المواصلات الحديثة فهى :

٤ ـ القطارات : منذ تسعين سنة تقريبا أنشىء خط حديدى يصل الاسكندرية برشيد مارا بادكو . من إدكو إلى رشيد فى ثلث ساعة ومن إدكو إلى الاسكندرية فى ساعة وربع . ويمر بادكو يوميا أربعة قطارات للركاب واثنان للبضائع وتنحصر مواعيدها بين الساعة السابعة صباحا حتى الساعة السادسة مساء . وتعتبر مواعيد وصول هذه القطارات إلى إدكو سوقا تعرض فيها السلع على المسافرين .



٥ ـ السيارات : فى سنة ١٩٢٤ مد طريق زراعى بين رشيد

والاسكندرية فنشطت التجارة ، وتهافت الأهالي على الانتقال بمساكنهم ومتاجرهم إلى جهة المحطة بعد أن كانت خرابا . واشترى بعضهم سيارات للنقل والركاب .



وفي سنة ١٩٣٦ سيرت سيارات شركة الشمال للنقل والركاب فيصل المسافرون من إدكو إلى الاسكندرية في ساعة وإلى رشيد في ثلث ساعة.



وسائل النقل داخل إدكو :

١ ـ الجمل والحمار : وبادكو أكثر من مائتى جمل وخمسمائة حمار تستخدم في النقل مابين البلدة وحقولها الرملية .

٢ ـ العربات : التي تجرها الخيول والحمير ، وكذلك عربات اليد .

أسواق إدكو : بادكو أكثر من ألف محل تجارى نصفها للبدالة وأما غير ذلك فللخردوات والخضر والفاكهة والفسيخ والحبوب ، وحلقات الأسماك على شاطيء البحيرة ، وللمجلس المحلى حلقة كبيرة تؤجر لتجار السمك . وسوق إدكو الرئيسية فى وسطها ، وقد اتسعت حتى شملت الشارع المؤدى إلى المحطة . وبادكو عشر مقاهى ببعضها مذياع (راديو) وأكثر روادها من الصيادين والتجار وبعض الموظفين ولكنها حرام على الزراع والصناع . ووقوف القطارات بادكو أسواق هامة ..

١ ـ الصادرات

يصدر من إدكو إلى الجهات المختلفة (مصر والخارج) ما يأتى :

١ ـ الحاصلات البحرية : الاسماك (طازجة ومملحة) يوميا وأم الخلول والطيور البحرية والبرية .

٢ ـ الحاصلات الزراعية : فسائل النخيل . البلح . العنب . التين الطماطم . البطيخ والقثاء والقاوون .

٣ ـ الحاصلات الصناعية : الاقمشة الحريرية والقطنية . المقاطف . الاقفاص . العجوة . الحصر . الشباك . الثلج . الأسفاط . البرادع .

٢ ـ الواردات

ويرد على إدكو ما يأتي :

١ ـ المواد الغذائية : الحبوب . البقول . الزيوت. اللحوم . الفاكهة الألبان . المسلى . الخضراوات . الدواجن . الكيوف . الملح .

٢ ـ الأدوات المنزلية : الطوب والجير (من رشيد) ـ الاخشاب . الحدائد . الأسمنت . الزجاج . أثاث المنازل . زيت البترول . الملابس أنابيب المياه والادوات الصحية .

٣ ـ أدوات الصيد : الأخشاب . الحبال . الخيوط القطنية . الشباك السلكية (الجوابى) البويات . البنادق . الخرطوش

٤ ـ واردات مختلفة : السيارات . لوازم السيارات (زيوت . شحوم بنزين . أدوات) الحمير . الجمال . مسحوق الكبريت (للزرع) . الآلات الزراعية . البذور . الرسمال . الآلات

الحرف

قلنا إن الادكاويين صيادون وزراع وصناع وتجار ومحترفون فمنهم الموظف والمعلم والنجار والبناء والحلاق والحداد والجزار والخياط والحذاء والخضرى إلى من لا تستغنى عنه مدينة كادكو . ومما يشرف الادكاويين ألا يوجد عاطل بينهم .

أفرع الشركات : شل ، فاكومى ، جنرال موتور للسيارات ، الملح والصودا المصرية ، الغاز الأهلية ، دخان وسجاير جاناكليس ، وكيورك .

القسم الثالث

مستقبل إدكو

فى استطاعتنا الآن ـ وقد فرغنا من دراسة الماضى والحاضر ـ أن نتعرف المستقبل، فأول الغيث قطرة كما يقولون . وتتلخص نواحى المستقبل فيما يلى .

العمران : السكان في ازدياد مما يستدعى كثرة المبانى على النظام الحديث . وسيعمل مجلس إدكو المحلى على تنظيم شوارعها . ويلاحظ أن (مدينة إدكو) المستقبلة ذات نوع جديد من المدنية لجمعها بين الريف والحضر نظراً لتعدد مناظرها الطبيعية من بحر وبحيرة ورمال وزروع ، ولأنها مؤسسة على جهود . ومما يبشر بتقدم ادكو أن جلالة الملك فاروق الأول قد شرفها وصاد من بحيرتها الطيور الجميلة فى يومى ١٠ و ١٧ نوفمبر سنة ١٩٣٦ مما يدعو إلى تطلع الانظار الى ادكو ورفع ذكرها في القريب العاجل.

التعليم : التعليم الاولى والالزامى للبنين والبنات إجبارى . لهذا سيأتى جيل مستنير يعرف حقوقه وواجباته ويعمل على صالح بلده ما استطاع . ولا يخفى ما للمدرسة البنات من أثر فى تهذيب البنت ورقيها . أما المدرسة الابتدائية فهى فى سبيل الضم الى الوزارة التى تفكر في ادخال قسم للصناعات المحلية بها . ونسبة المتعلمين تعليما عاليا فى تقدم ملموس . ولا ننس فضل الشبان الادكاويين المتطوعين فى جمعية نهضة القرى والذين يجاهدون فى صيف كل عام يعلمون الاميين مبادىء القراءة والكتابة .

الزراعة : ثبت بالتجارب صلاحيــة أراضى ادكو للزراعــة لخصوبتها وعناية الاهالى بالزراعة ولا ينقصها الا ترعة ترويها وتصلح من الاراضى البور وتبلغ ستة آلاف فدان • وقد طالب نائب ادكو البرلمانى بذلك ، وان شاء الله سينفذ المشروع في العام المقبل ، فتتحسن النباتات الحالية وتزرع الفواكه بكثرة فائقة مثل التوت والبرتقال والزيتون والذرة والقمح والموز والمشمش واليوسفى والقشدة والخضروات وتكثر الابقار والجاموس • وللمزروعات أكبر نصيب من قيام الصناعة •

الصيد : يتمنى بعضهم لو جفت البحيرة وحولت الى أراض زراعيـــة (مساحتها ٣٨ ألف فدان) ووجهة نظرهم أنها تدرعلى الاهالى والحكومة محصولا زراعيا أكثر من محصول السمك الا أن الحكومة تعارض ـ بالرغم من تيقنها من زيادة ايرادها الزراعى ـ لانها تعمل على رقى الصيد في مصر عامة وفي ادكو خاصة لان بحيرتها أول البحيرات انتاجا ولهذا ستهتم بتربية أكبر عدد ممكن من السمك تمهيداً لسد حاجة البلاد منه سواء أكان للغذاء أم للصناعة . ولا ننس أن الصيد يشمل العمل فى البر والبحر والبحيرة ، ويشمل الاسماك والطيور •

الصناعة : واضح من خطة الحكومة في العصر الحديث عنايتها بالصناعة على أن أول خطوة تخطوها هى تشجيع الصناعات المحلية ، وادكو في الحقيقة بيئة صناعية وصناعهــا مخلصون لاعمالهم متقنـون •

ومن الصناعات الواجب العناية بها والعمل على إدخالها :

١ ـ النسيج : فلا زالت هذه الصناعة قديمة ولكنها تنشد من يأخذ بناصرها . ومن أجدر بذلك من « شركة مصر لغزل ونسج القطن » فيمكنها أن تعنى بغزل الحرير ونسجه . ولو كانت المحلة الكبرى قد بدأت نهضتها في النسيج ب ٤٠٠ نول فان ادكو تبدؤها بألف . ومما يدعو الى الاستبشار بهذه الصناعة أن خريجى قسم النسيج بالمدارس الصناعية من الادكاويين كثيرون ، وان معظم الادكاويين الآن يلبسون من صناعة أيديهم . وفرع النسيج والسجاد الملحق بالمدرسة الاولية في حاجة الى التشجيع إذ أن البنات يصنعن السجاجيد الفاخرة وأن البنين ينسجون الاقمشة وشتى المنسوجات . وانا لنلفت نظر وزارة التجارة والصناعة الى العمل على رفع مستوى النسيج بادكو .

٢ ـ تربية دود القز : وما دام الادكاويون سيزرعون التوت ويهتمون بالنسيج فلا عجب اذا اشتغل أكثرهم بتربية دود القز بما عرف فيهم من عناية ودقة وبذلك يشتغل الاطفال مساعدين آباءهم

٣ ـ حفظ الاسماك : ادكو أكثر المصائد المصرية انتاجا فبها البحر والبحيرة ، ويصدر بعض هذا السمك والبعض يملح بطريقة عقيمة تضيع معها ميزة السمك . أما اذا عنيت الحكومة بحفظه في العلب فانه سيعود عليها وعلى الامة بالخير والمنفعة . وذلك يتفق ورغبة الحكومة في ترقية مصائدها

٤ ـ تجفيف الفواكه : تمتاز فواكه ادكو بكثرة سكرها فيمكن تجفيف البلح والتين والعنب (الزبيب) وغيرها مما سيزرع مستقبلا .

٥ ـ صلصة الطماطم : بالاسكندريه مصنع مصرى حديث لصلصة الطماطم. وأغلب الطماطم الذى يصنع يرد من ادكو ، وانه لخير عظيم لو أنشىء فرع لهذه الصناعة بادكو يعود على المصريين بالنفع المحقق ٠

٦ ـ المربى: تكثر بادكو الفواكه التى يمكن استخدامها فى صناعة المربى ومن ذلك البلح، والبرتقال، والمشمش، وقشر البطيخ، والقرع، والقاوون وغيرها.

٧ـ الورق: فطنت العراق حديثا الى صناعة الورق من سعف النخيل وبادكو علاوة على السعف أعشاب كثيرة بالبحيرة مثل البردى والحجنة والحامول

٨ ـ الازرار الصدفية : يخرج على شاطىء البحر كثير من الاصداف الثمينة ، ويمكن صناعة الازرار منها ، ومن عظام الاسماك ٠

٩ ـ الزجاج : ذكرنا فى البحث الجيولوجى للرمال أن بها نوعا صالحا لصناعه الزجاج وهذه صناعة لها مستقبلها ٠

١٠ ـ الادوية : يستخرج الادكاويون من طائر الوب وغيره زيتا يدهنون به أعصابهم لتقويتها ، ومن القرع زيتا تتداوى به الآذان ويجمع الاطفال من الحقول حشائش يستخرجون منها بذورا مثل (بزرقطنة)

١١ ـ الملح : احتكرت شركة الملح والصودا المصرية ملاحتى ادكو، وحرمت على الأهالى ملحها. ولو اهتمت الشركة بأمر الملاحتين شتاء وتطهيرهما لأخرجتا ملحا جيداً يصلح للطعام أو على الاقل لتمليح الاسماك والمثلجات

وعلى العموم فان للصناعات المختلفة بادكو مستقبلا حسنا يبشر به رغبة الاهالى فى التقدم ، وعمل الشباب على تحقيق هذه الرغبة ٠ وقد

تتجدد صناعات أخرى لا قبل لنا على التكهن بها ، وإنما هي وليدة الجيل المقبل

التجارة : وتبعا لنشاط حركة الزراعة والصيد والصناعة ، فستكثر المصالح الحكومية بها وتكثر متاجرها ويهجر إليها الكثيرون من رشيد والاسكندرية فتتسع إدكو وتنشط تجارتها فتطغى شهرتها على رشيد ، ونظراً لنشاط التجارة على هذا النحو فستزداد طرق مواصلاتها وربما أنشىء بها مطار خصوصا وأن كثيراً من الطيارات تتمرن الآن بها فى سبختها الغربية وهي لا تكلف الحكومة شيئا لصلاحيتها التامة من جميع الوجوه لأن تكون مطاراً علاوة على البواخر التى ستمخر عباب البحر إن شاء الله ٠

الاصطياف : لعل كثيراً من المصريين الذين كانوا يهرعون إلى أوروبا للاصطياف اقتنعوا حينما قضوا الصيف فى ربوع بلادهم الحبيبة ملتمسين الشواطىء ٠ وتمتاز إدكو صيفا بجفافها وفي الشتاء بدفئها وماؤها المعدنى فاق (مياه فيشى الألمانية) ، وكادت توازى (حلوان)٠ لهذا ستتسع حركة الاصطياف بادكو والمعدية . وحينئذ سيفضل بعضهم سكنى الشاطىء ولذا سيمهد طريق يصل المحطة بالبحر . ومن ثم تقوم البواخر بنقل المتاجر ، ويزداد العمران على الشاطىء ومن هنا ينشأ (ميناء إدكو) الذى سوف لا يقل عن رشيد والاسكندرية .

هذا مستقبل إدكو الجنين نستشفه خلال الزمن ، وإنا لا ندرى أشر

أُريدَ بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشداً . على أن أركان المستقبل كلها على عاتق الشباب الادكاوى ، ولا يمكن أن يقال إن الشباب أدى رسالته إلا إذا دعمها بقوة إيمان ، وقوة أبدان ، وقوة عقول ، وإلا إذا سندها بماله وماله . وإن من يتطوع للجهاد فى رفع إدكو لعليه أن يكون قلبه من حديد وقلمه من حديد وجسمه من حديد . وأن يكون مستقيما فى سيرته وإلا قعد من حيث نهض ، وألا ينحدر فى تيار الطغمة من حيث لا يدرى ، فالنهوض كل النهوض فى أن يرفعهم إلى مستواه والهبوط كل الهبوط في أن ينخفض إلى مستواهم .

ألا هل بلغت . اللهم فاشهد . . . .

ثلاثة أيام هى الدهر كله .·. فلم يبق إلا الأمس واليوم والغد

الحمد لله

تم طبع هذا الكتاب فى ٤ يونيه سنة ١٩٣٧


Bibliotheca Alexandrina
0486576